

دِيَوَانُ
قَيْسِ بْنِ الْمُلَوَّحِ
بَحْثُ لَيْسٍ

رَوَايَةُ أَبِي بَكْرٍ الْوَالِبِيِّ

دَرَاةٌ وَتَعْلِيْقُ
يُسْرَى عَبْدِ الْغَنِيِّ

منشورات
محرر علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©

All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٢٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0843-3



9 782745 1108432

<http://www.al-ilmiyah.com.lb/>

e-mail : sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

[مفتح]

ولا خيرَ في الدنيا إذا أنت لم تزرُ
حيباً ولم يَطْرُبْ إليك حبيبُ

(مجنون ليلي)

[مدخل]

- أشهر غرام في التاريخ : المجنون حقيقة بالأدلة القاطعة !!
- بين يدي ديوان مجنون ليلي
- حكاية رجل اسمه الوالبي !

[أشهر غرام في التاريخ]

ربما لم تشتهر قصة غرام في تاريخ أدبنا العربي كما اشتهرت قصة مجنون ليلى أو ليلى والمجنون، وربما لم تتسع صفحات مصادر الأدب والتاريخ لأخبار شاعر عربي كما اتسعت لأخبار قيس ابن الملوح (مجنون ليلى)، وربما لم تنسج ألوان مختلفة من القصص والحكايات والأساطير حول علاقة حب كما نسجت حول علاقة مجنون بني عامر بليلاه. ومن هنا فإن قصتهما كانت ولا تزال - موضوعاً من أهم الموضوعات التي احتلت مكان الصدارة من عناية الأدباء والباحثين حتى يومنا هذا.

وقيس بن الملوح أو مجنون بني عامر، كما عرف واشتهر بذلك هو واحد من شهداء الحب العذري الذين سجلوا في التاريخ أروع قصصه وأنبل عواطفه، لقد شهدت مطالع الدولة الأموية حياة قيس بن الملوح (المجنون) في حين كانت وفاته ما بين (٦٥ هـ) أو (٦٨ هـ).

- لقد شهد «حي بني عامر» في بوادي الحجاز العربية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة - صراعه العنيف مع تلك العاطفة المشبوبة التي ملأت عليه قلبه وحسه، واستغرقت أيامه ولياليه، فلقد تفتح عليها قلبه وهو حدث صبي، ثم أخذت تشب معه وتتضح في أحاسيسه يوماً بعد يوم، وتستهلك عمره سنة بعد سنة، حتى قضى حياته في هيام وغربة، في حرمان ولوعة. ثم مات وحيداً شريداً في وادٍ منعزل كسير الفؤاد، لا تدمع عليه عين ولا يخفق من أجله قلب، وظل جثمانه بالعراء حتى بحث عنه أهله فوجدوه ثم حملوه إلى مثواه الأخير ليواروه التراب وهو لم يشف قلبه من ذلك الحب النقي الطاهر الذي عاش عمره من أجله ومات في سبيله.

وثمة روايات وأخبار مختلفة تشير إلى تلك الظروف التي نبتت فيها علاقة قيس بليلى العامرية:

١ - بعضها يقول: انهما تعارفا صبيين حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة وترعرعت.

٢ - وبعضها يقول: إن قيساً مرَّ يوماً يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلنه السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيته (دابته) وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته وأطعمهن.

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فأغضبه ذلك وقال شعراً فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكنه وجد ليلى فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنع لها مثل ما صنع مع صويحباتها بالأمس، فأظهرت ليلى إعراضها عنه فأصابه لذلك هم شديد، فما كان من ليلى إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكذب يسمعه حتى خرَّ معشياً عليه!!

٣ - وتذهب بعض الروايات والأخبار إلى تصوير قيس بن الملوح بصورة حيوانية، حيث تذكر أنه كان شديد الوله بالنساء، وأن ليلى العامرية كانت من أجمل وأملح نساء حبيها قاطبة، وأن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى إليها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما كان.

* * *

ومهما اختلفت الروايات والأخبار في تصوير الظروف التي باشرت ميلاد ذلك الحب فإنها جميعاً تتفق على شيء واحد هو إثبات حب قيس ليلى، وأن قيساً شخصية حقيقية موجودة بالفعل، وكذلك ليلى العامرية شخصية حقيقية موجودة.

ولكن الاختلاف في الأخبار والروايات التي قرأنا مضمونها في كتب الأدب يتضح في أطوار تلك القصة وظروفها ولعل ذلك هو الذي دعا بعض الباحثين إلى الحذر في تصديقها؛ بل قد دعاهم إلى إنكارها والتشكيك فيها.

ولعل من أبرز الأسماء التي تطالعتنا في هذا الصدد زعيم الشك العربي الاستاذ الدكتور/ طه حسين (رحمه الله)، فلقد كان للمنهج الذي اتبعه في معالجة الأدب العربي القديم وهو منهج الشك أثر بالغ الخطورة في النتائج التي انتهى إليها في بحثه لقصة مجنون ليلى وغيره من شعراء الغزل العذري الذين ترددت أسماؤهم في هذا المجال من أمثال: جميل بن معمر (جميل بثينة)، وقيس بن ذريح (قيس لبنى)، وعروة بن حزام (عروة عفراء)، ونحن لا نعترض على منهج الشك الديكارتى في ذاته فهو منهج قديم تقتضيه ضرورة البحث العلمي السليم الذي يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية في جوهر من الطمأنينة واليقين العلمي، ولكن الذي نعترض عليه هو الطريقة التي اتبعها

الدكتور/ طه في تطبيق هذا المنهج إزاء هذه القصة قصة ليلي والمجنون بوجه خاص .

فالدكتور/ طه حسين يقول بالآتي :

١ - يشك شكاً أكيداً في شخصية مجنون ليلي ، بل لا يكاد يصدق أنها شخصية حقيقية عاشت كل تلك الظروف التي صورتها أخباره وأشعاره .

وأعتقد ما وصل إليه د . طه نتيجة خطيرة ما نحسب أن سنده فيها يضاهي قدرها من الخطورة فهو يستند في إثبات ما وصل إليه إلى أمورٍ ربما كان من السهل أن نردها أو على الأقل نضعف من قوتها .

٢ - الدكتور طه يقول (مثلاً) : إن الرواة لم يتفقوا على اسمه .

٣ - الدكتور طه يقول : الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي زخرت بها حياته .

٤ - ويقول : لم يتفقوا على وجوده كلية .

ونقول بدورنا :

أ - إن الرواة لم يتفقوا على اسمه فتلك ظاهرة نصادفها كثيراً جداً وبخاصة بعض الأعلام التاريخية والأدبية التي لم يشك أحد في وجودها حتى الدكتور/ طه ومنهجه الشكي ، فمثلاً الصحابي الجليل : أبوذر الغفاري رضي الله عنه ، روي اسمه مرة على أنه جندب بن جنادة ، ومرة على أنه جندب بن عبد الملك ، ومرة على أنه بُربر ، وأخرى على أنه بُربر . . . إلخ

وكذلك الأحنف بن قيس المشهور بالحلم والصفح وأحد زعماء بني تميم العرب روي اسمه مرة على أنه الضحاك ، ومرة على أنه صخر ، ومرة على أنه الحارث . .

وكذلك أعشى تغلب : ذلك الشاعر المشهور روي اسمه مرة على أنه عمرو بن الأهميم أو الأهم ، ومرة على أنه عمرو بن الأيهم ، ومرة على أنه عمير بن الأيهم ، ومرة على أنه ربيعة بن بخوان ، ومع هذا الاختلاف الكبير فإننا لم نشك على الإطلاق من الناحية التاريخية في أن هؤلاء الاعلام أشخاص حقيقيون يرتبطون بأحداثٍ وتاريخ واضح ومشهور لنا جميعاً .

ب - إن الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي تنسج خيوط قصة ليلي والمجنون فما نحسب أن هذا يدفعنا بأي حالٍ من الأحوال إلى انكار وجود قيس بن الملوح كلية ، وإنما المعقول أن يدفعنا إلى تمييز هذه الأحداث والنظر فيها جيداً وإبطال ما يجنح منها

إلى التطرف والمبالغة، ثم ربطها بالشاعر المنسوبة إليه وذلك حتى تتضح لنا بالمقارنة والاستنتاج ملامح الشخصية المعقولة التي تتضافر الأخبار والأشعار معاً على إثباتها.

ج - أما الحكم بإنكار شخصية لمجرد الاختلاف في تصوير الأحداث التي عاشتها تلك الشخصية فهذا في رأينا نوع من الإسراف في تطبيق هذا المنهج الذي التزمه عميدنا الدكتور/ طه حسين ومن تابعه من (الطحاسنة).

د - أما أن الرواة لم يتفقوا على وجوده، فنحن نرى أنه ما دمنا سنعتمد في هذه الناحية على جانب الرواية فإن عدد الرواة الذين نفوا وجود مجنون ليلى أو شكوا في وجوده لا يقاس كثرة ولا صدقاً بعدد الرواة الذين رووا أخبار قيس بن الملوح، وأكدوا وجوده، وإذا كان الدكتور/ طه حسين يقلل من الثقة في الرواة الذين رووا أخبار قيس فإنه بكفي أن نذكر له طائفة من الرواة الذين عرفوا بالثقة الكاملة من أمثال:

- يونس النحوي .

- أبي عمرو الشيباني .

- محمد بن السائب الكلبي .

- هشام بن محمد الكلبي .

- الأصمعي .

- أبي عبيدة .

- الهيثم بن عدي .

وكل هؤلاء إما معاصر لمجنون ليلى العامرية أو متأخر عنه بقليل . . . ولقد أراد الدكتور/ طه حسين بعد ذلك أن يعضد رأيه بطريقة أخرى قال إنها طريقة فنية ليست من التاريخ في شيء .

تلك هي [الاحتكام إلى شعر المجنون]، فإن ذلك الشعر على ما قال الدكتور/ طه سيثبت أحد شيئين .

١ - إما أنه مصنوع، متكلف، اخترع اختراعاً، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، ولا عن حب صحيح .

٢ - وإما أنه قد صدر عن أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة سهواً أو عمداً وأضافوه إلى شاعر واحد هو مجنون ليلى .

ولسنا ندري في حقيقة الأمر ما الذي يقصده استاذنا/ طه حسين بهذه الطريقة

الفتية؟ وما العلاقة بين هذين الاستنتاجين اللذين أشار إليهما من أن الشعر الذي نسب إلى المجنون إما مصنوع متكلف، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، وإما أنه قد صدر عن أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة ونسبوه إلى مجنون ليلي - وهل هو في هذه الحالة الأخيرة يكون غير متكلف ولا مصنوع؟! وهل هو في الحالة الأولى سلم من عبث الرواة وخلطهم، فهو إذن لشاعر واحد!!

إنه على الرغم من عدم وضوح تلك الطريقة فهي فيما يبدو لنا تتضمن من كلا الاستنتاجين إثبات شخص نسب إليه ذلك الشعر، فهو في الاستنتاج الأول يفرض أن ذلك الشعر لشاعر واحد ولم يزيّف عليه شيء. ولكنه متكلف لا يدل على عاطفة!!

ونحن نسأل: من يكون هذا الشاعر الواحد الذي صدر عنه ذلك الشعر...

والدكتور/ طه في الاستنتاج الثاني يفرض أن ذلك الشعر قد صدر عن أشخاص كثيرين ثم خلط بينه الرواة وأضافوه إلى المجنون. . ونحن نسأل هنا أيضاً: أليس هذا العمل من قبل الرواة دليلاً على وجود شخصية حقيقية للمجنون ينسبون إليها ذلك الشعر ومع هذا كله فإن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يمدنا بالدليل الصادق على وجود شخصية حقيقية للمجنون إلى جانب الرواية هو شعره - وهو الافتراض الثالث الذي أغفله طه حسين.

إن الذي يقرأ شعر المجنون قراءة عميقة فحواها الاستبطان والتأمل الدقيق للحالات النفسية التي يصفها كشاعر ويعبر عنها ليحس إحساساً لا يخامره شك بأن ذلك الشعر العاطفي الرقيق معبر عن عاطفة صادقة مشبوبة، وبأنه مرتبط بمواقف نفسية مفعمة بالحرارة والصدق وبأنه التجربة التي يصدر عنها تجربة معاناة حقيقية ومكابدة وحرمان، تجربة عنيفة قاسية لا بد أن تفيض بذلك الشعر الصادق الذي يصف حدودها وأبعادها ويصور كافة أحداثها ومواقفها.

إن ديوان الشعر الذي ينسب لمجنون ليلي حين نقرأه نحس بأننا أمام شعر يوحى للوهلة الأولى بصدق العاطفة وعمق التجربة، ولا يمكن أن يوحى بأي حالٍ من الأحوال بزيّف أو افتعال، وأن الذي قال هذا الشعر لم يعانِ تجربة حب حقيقية وعميقة وعنيفة أيضاً.

والدكتور/ طه حسين يقول: إننا لا نستطيع أن نجد للمجنون شخصية ظاهرة بينة في هذه الأشعار الكثيرة المختلفة التي يرويها له أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني وغيره من الرواة...

وهذه القضية وإن صدقت على غير المجنون من الشعراء العذريين فإنه لا يمكن أن تصدق على مجنون ليلي، ذلك لأننا لم نجد شاعراً تتضح شخصيته وتبرز معالم تجربته في شعره كما نجدناها عند المجنون.

والذين يشتغلون بالدراسات النفسية أو الذين يميلون إلى جانب النقد النفسي يستطيعون أن يكتشفوا بيسر الروابط المتينة بين شعر مجنون ليلي وشخصيته على ضوء ما تصور لنا هذه الشخصية الأخبار والروايات، فشعر المجنون يعبر عن رغباته الكامنة في اللاشعور وهو يعكس بجلاء صوراً صادقة من نفسه التي أرهقتها آلام الوجد ومرارة الحرمان، وكما يعكس الناحية النفسية فهو يمثل لنا - أي شعر المجنون - شخصية واضحة مستقلة يمكن لنا أن نميزها بسهولة ووضوح.

ومع ذلك كله فإننا نلتمس العذر لأستاذنا الدكتور طه حسين (رحمه الله) فيما ذهب إليه من شك وإن كنا لا نوافقه عليه، أما ذلك العذر فمرده إلى ذلك الخلط الواضح الذي يصادفه من تعقّب أخبار هؤلاء الشعراء وأشعارهم.

فإننا نجد أحياناً أخباراً في قصة جميل / بثينة مرسومة في قصة مجنون ليلي، ونجد أبياتاً برمتها من شعر جميل بثينة مرسومة في قصيدة للمجنون أو لعروة بن حزام هكذا.

وهذه الظاهرة من غير شك تتطلب قدراً من الحذر والحيلة في النظر إلى هذه الأخبار والأشعار وإن كان هذا لا ينبغي أن يقودنا جملة إلى إنكارها أو الشك فيها.

وفي ضوء هذه المناقشة السابقة حول وجود مجنون ليلي يمكن أن نقول إننا بصدد شخصية حقيقية عاشت حياتها في عناء ومكابدة صادقة عميقة، وانفقت عمرها في شتات وغربة، تستعذب الآلام في سبيل عاطفة نقية سامية تتسامى عن مألوف العلاقات البشرية وتتميز عنها بالطهر والتحرر من أغلال الشهوة والتعفف عن كل ما من شأنه أن يزرى بالقيم الرفيعة التي طبعت هذه العلاقة بطابع مثالي تتجلى فيه قدرة النفس البشرية على الفكك من عبودية الجسد، والسمو بالعاطفة إلى مستوى لا يكون للقاء الجسد فيه مكان.

أشد على رغم الأعداي تصافيا	فلم أر مثلينا خليلي صباية
خليلين إلا يرجوان تلاقيا	خليلان لا نرجو اللقاء. ولا نرى
بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا	وأني لاستحييك أن تعرض المنى

[بين يدي الديوان]

هذا الديوان الذي بين أيدينا ديوان في الغزل العذري ، وهو ذلك الغزل النقي الطاهر الذي ينسب إلى قبيلة بني عذرة العربية ، إحدى قبائل قضاعة التي كانت تنزل منطقة وادي القرى شمالي الحجاز ، ذلك أن فتيانها تميزوا بذلك الشعر حتى أطلق عليه أو على شعرٍ عفيف يقتصر على شدة العواطف ، لا تدنسه أي لذات حسية في وصف المحبوبة^(١).

بعد ذلك انتشر ذلك الشعر ولم يقتصر على بني عذرة ، بل امتد إلى قبائل نجد والحجاز ؛ وخاصة بني عامر .

● ويرجع استاذنا الدكتور/ شوقي ضيف انتشار الشعر العذري بين تلك القبائل البدوية إلى الآتي :

أ - الطبيعة البدوية الصافية التي جاء الاسلام فرفعها ولطفها ونقاها .

(١) يحلو لمؤرخي الأدب أن يقسموا الشعر في العصر الإسلامي إلى فترتين :

الأولى : صدر الإسلام : وتبدأ من ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين .

الثانية : العصر الأموي : وتبدأ من قيام الدولة الأموية سنة ٤١ هـ . إلى نهاية هذه الدولة سنة ١٣٢ هـ .

والفترة الثانية هي التي ظهر فيها الغزل العذري وفي مقابله الغزل الحضري (وهو الغزل الصريح) وكان من أهم عوامل ازدهاره :

أ - حياة الترف والرخاء التي عاش فيها الشعراء .

ب - شيوع الغناء في عواصم البلاد العربية .

ج - انصراف كثير من شعراء الحجاز عن المشاركة في السياسة منذ أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام مما حملهم على التفرغ لشعر الغزل والاهتمام به . ويمثل هذا النوع عمر بن أبي ربيعة .

أما الغزل العذري أو العفيف أو الغير مادي ، فهو الذي يقوم على العاطفة الصادقة والبعد عن ذكر محاسن المرأة ومفاتنها وساعد على ازدهاره من وجهة نظرنا :

أ - الفراغ الذي كان يعيشه الشعراء في البادية .

ب - الغيرة على المرأة والمحافظة على التقاليد البدوية .

ويمثل هذا اللون (جميل بن ميمر) و (عروة بن حزام) و (مجنون ليلى) وغيرهم من الذين ذكرناهم .

ب - بُعد تلك القبائل العربية عن ترف المدن وتحللها ومجتمعاتها الماجنة اللاهية.

● ونبالغ استاذنا الدكتور/زكي مبارك فيلحق هذا الشعر بشعر التصوف ويحشر المجنون وأمثاله في زمرة المتصوفين! . . .

ومهما كان الأمر فقد ذاع وانتشر الشعر العذري وتناقلته الأفواه في أوائل عهد الدولة الأموية، فكان تنفيساً للمسلمين عن جو النزاعات السياسية والمؤامرات والدسائس، أو تكفيراً عن مجتمعات الشراب واللهو والمجون والشعراء الماجنين أمثال: عمر بن أبي ربيعة^(٢) والأحوص^(٣) وغيرهما . . . ومن أشهر شعراء الغزل العفيف:

- قيس بن ذريح ومعشوقته لبنى الخزاعية.

- جميل بن مَعْمَر، ومعشوقته بثينة^(٤).

- راوية جميل كثير ومعشوقته عزة.

- عروة بن حزام وصاحبته عفراء.

- الصمّة القشيري وابنة عمه رباباً.

- عبد الرحمن الجشمي وهو من نساك مكة، وعشق سلامة حتى سماها الناس

(٢) عمر بن أبي ربيعة شاعر إسلامي اشتهر بالغزل الصريح، وهو من قبيلة مخزوم القرشية. ولد سنة ٢٣ هـ في العام الذي توفي فيه الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال الناس: (أي حق رفع، وأي باطل وضع) ونشأ في الحجاز مترفاً ميالاً إلى اللهو والغزل طيلة شبابه فلما تقدمت به السن انصرف عن ذلك وتوفي سنة ٩٣ هـ.

(٣) الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. وعاصم بن ثابت من الأنصار. ويقال إن عمر بن عبد العزيز نفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر الأحمر لسلوكه الشائن.

راجع عنه: الأغاني (٤٧٠/١٤) و (٢٢٨/٤) و (٥١/٦) والمؤتلف والمختلف (٤٨)، والخزانة (٢٣١/١)، والسمط (٧٣)، وطبقات ابن سلام (٥٣٤)، والموشح (١٨٧)، وبروكلمان (١٩٦/١).

(٤) جميل بن معد من قبيلة «عذرة» التي اشتهرت بالحب العفيف، وجميل شاعر إسلامي من شعراء الغزل أحب (بشيئة) ابنة عمه وقد أقام على حبها حتى مات وجعل شعره كله وقفاً عليها، وكان يريد الزواج بها ولكن تقاليد القبيلة كانت تمنع زواج الشاعر من الفتاة التي يتغزل بها، فزوجها أهلها غيره ولكنه ظل متعلقاً بها يذكرها في شعره فشكوه إلى الوالي فهدده بإهدار دمه حتى ضاقت به الحياة فرحل إلى الشام ثم إلى مصر حيث توفي بها سنة ٨٢ هـ.

سلامة القس . وكذلك ظهر شعر لمعشوقات يتغزلن بمعشوقيهن أو يبكين فقدهن مثل ليلي الأخيلية وشعرها في توبة بن الحمير .

● إذن ف شعر الغزل كان حقيقة واقعة لا جدال فيها ، وكان أصحابه أشخاصاً حقيقيين لم ينسجهم خيال الرواة ، ولكن الذي لا شك فيه أنه لفرط شعبية ذلك اللون من الشعر وكثرة تناول الألسن له نسج حوله ما ليس منه من روايات وعقد وصراعات مزعومة ونسب إلى شعرائه ما لم يقولوه لحبك القصة .

بل يذهب بعض مؤرخي الأدب العربي والشعر إلى أن بعض شعراء ذلك اللون الشعري لم يوجدوا على الإطلاق فصاحب (الأغاني) أبو الفرج الأصفهاني ينسب إلى الأصمعي قوله :

«رجلان ما عُرفا في الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر وابن القرية» .

وينسب إلى ابن الكلبي قوله :

«حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون ، وقال الأشعار التي يرويها الناس له ونسبها إليه» .

وللرد على هؤلاء أحيل القارئ المفضل إلى ما كتبناه آنفاً تحت عنوان (دفاعاً عن المجنون!!) .

والآن هيا بنا - عزيزي القارئ - نلتقي مع أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) [٤٦٧/٢] ليعرفنا بالمجنون أو قيس بن معاذ ، ويقال قيس بن الملوح ، أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة .

ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه .

وكان الأصمعي يقول :

لم يكن مجنوناً ، ولكن كان فيه لوثة كلوثه أبي حية . وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نخلوه شعراً رقيقاً يشبه شعره ، كقول أبي صخر الهذلي :-

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

● وكقول أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة:

بينما نحن من بلاكث بالقفا ع سِراعاً والعيسُ تهوي هويًا

ويواصل ابن قتيبة حديثه فيقول إن المجنون وليلى صاحبه كانا يريان البهم وهما صبيان، فعلقها علاقة الصبا ثم نشأ المجنون وكان يجلس معها ويتحدث في ناس من قومه، وكان ظريفًا جميلًا، راوية للأشعار، حلو الحديث، فكانت تعرض عنه وتقبل على غيره بالحديث، حتى شق ذلك عليه، وعرفته منه، فأقبلت عليه.

ثم تمادى به الأمر، حتى ذهب عقله، وهام مع الوحش، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرقة، ولا يعقل شيئاً إلا تذكر له ليلي، فإذا ذكرت تاب وتحدث عنها لا يسقط حرفاً. فسعى عليهم نوفل بن مساحق (تابعي، وكان قاضياً على المدينة، وتوفي أيام عبد الملك بن مروان عام ٧٤ هـ وكان من أشرف قریش)، فنزل مجعماً من تلك المجامع، فرآه عرياناً يلعب بالتراب، فكساه ثوباً، فقال له قائل: وهل تدري من هذا أصلحك الله؟ قال لا. قال: هذا المجنون (قيس بن الملوح) ما يلبس الثياب ولا يريدّها، فدعاه به فكلمه، فجعل يجيبه عن غير ما يكلمه، فقالوا له: إن أردت أن يكلمك كلاماً صحيحاً فاذكر له ليلي وسله عن حبه لها، ففعل، فأقبل عليه المجنون يحدثه بحديثها وينشده شعره فيها، فقال له نوفل: الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال: نعم، وسيتهي بي ما إلى ذلك سبيل!!

قال: انطلق معي حتى أقدم بك عليها فأخطب لك وأرغب لك في المهر قال: أفتراك فاعلاً؟؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: على أن أفعل بك ذلك، فارتحل معه، ودعا له بثياب فلبسها المجنون، وراح معه كأصح أصحابه، يحدثه وينشده، فبلغ ذلك قومها فتلقوه بالسلاح وقالوا له: والله يا بن مساحق، لا يدخل المجنون منزلنا أبداً أو نموت!! وقد هدر السلطان دمه (الخليفة)، فأقبل بهم وأدبر، فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرف، قال المجنون: والله ما وفيت بالعهد، قال انصرفك أيسر (أو رجوعك أهون) علي من سفك الدماء فانصرف..

ثم يحدثنا ابن قتيبة بأمر ليلي وجبها المكتوم لقيس وسؤالها الدائم عنه كل من يمر بها وشعرها فيه.

ثم يذكر لنا ما أشار به الناس على والد المجنون بأن يخرج إلى مكة لعل الله يشفيه

ولكن ذلك العلاج لم يفلح . . . ولا يذكر ابن قتيبة خبر موت قيس بن الملوح أو مجنون ليلي العامرية، ولكننا نفارق قيساً يهيم في الفلوات عرياناً مهزولاً زائف النظرات .

[راجع ابن قتيبة في الشعر والشعراء/ ج ٢ الصفحات من (٤٦٧) إلى (٤٧٧)] .

أما المستشرق الكبير (كارل بروكلمان) فيقول في الفصل الثالث من الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي: قيس بن الملوح مجنون بني عامر: قيل إنه توفي حوالي (٧٠ هـ) الموافق (٦٨٩ م) [ص ١٩٤] . ثم يأتي في [ص ٢٠٠] من نفس الكتاب فيقول: إن اخبار قيس ليست إلا حلقة من القصص الغرامية التي نسجت على منوال قصة حب جميل وبشينة الحقيقية بينما قيس وليلي لم يكونا إلا من أبناء الخيال. !!!^(٥)

ونهج طه حسين في كتابه (حديث الأربعاء) نهج المتشككين في حقيقة قيس بن الملوح، وتبعه كذلك كثير من (الطحاسنة) [أنصار طه حسين وتلاميذه] وكثير من مؤرخي الأدب في العصر الحديث - وقد قمنا بالرد على د. طه ومن والاه في هذا الاتجاه .

ونعود إلى بروكلمان الذي يزودنا بمصادر ديوان مجنون ليلي وهي :

- في كمبريدج البريطانية أول ٤٢٨ .
- لا ليلي التركية ١٩٨٤ .
- أيا صفويا التركية ٣٧٨٨ طبعته ٢٤٦٩ .
- فيض الله ١٦٠١ (برواية أبي بكر الوالبي) .
- طبع ديوان المجنون في بولاق ١٢٨٥ هـ .
- طبع ديوان المجنون في القاهرة ١٢٩٤ هـ .
- ثم طبع في سنة ١٣٠٦ هـ .
- ثم طبع في سنة ١٣٤١ هـ .

* * *

(٥) يجدر بالذكر أن الأستاذ/ عبد اللطيف علي أبو حليمة كتب مقدمة طيبة لديوان مجنون ليلي استفدنا منها

استفادة كبيرة فجزاه الله خيراً على جهده .

ويجدر بالذكر أيضاً أن ديوان مجنون ليلي له طبعة أخرجتها مطبعة البابي الحلبي (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م)، وطبعة أخرى أخرجتها المطبعة الشرقية بدون تاريخ وقد استفدت منهما في إخراج هذا الديوان، وقارنتهما بما ورد من اشعار مجنون ليلي في الأغاني والخزانة والمؤتلف ومعجم الشعراء والسمط وفوات الوفيات والشعر والشعراء .

ويستطيع القارئ أن يحصل على المعلومات المتعلقة بمجنون ليلي من المصادر التالية :-

- الأغاني : ١/١٦١ ، ٢/٥ .
- خزانة الأدب للبغدادى ١٦٩/٢ .
- المؤلف والمختلف للآمدي /١٨٨ .
- معجم الشعراء للمرزباني /٤٧٦ .
- السمط /٣٥٠ .
- فوات الوفيات رقم ٣٥٦ .
- النسخة التي نشرها الأستاذ المرحوم/عبد الستار فراج لديوان مجنون ليلي .
- بروكلمان /١٩٩ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٤٦٧ .

حكاية رجل اسمه «الوالي»!!

في أوائل عام ١٩٨٧م أعاد الأخ الفاضل/ أحمد علي حسن صاحب مكتبة الآداب بالقاهرة نشر طبعة قديمة لديوان مجنون الذي جمعه ورتبه الأديب العالم أبو بكر الوالي ولم يضيف الناشر أي جديد فقد اكتفى بالتحقيق المدرس التقليدي الذي قام به الأستاذ/ عبد اللطيف علي أبو حليمة للديوان ، وبالمقدمة التي كتبها لإحدى طبعات الديوان القديمة .

ولكن الجديد في طبعة الآداب القديمة أن الناشر كلف الصديق الدكتور/ عبد الرحيم يوسف الجمل المدرس بكلية التربية/ جامعة بورسعيد أن يكتب له تعريف «الوالي» راوي ديوان المجنون وجامعه ومرتبته .

والصديق الدكتور/ الجمل كثيراً ما نتحاور معه حول بعض القضايا الأدبية والفكرية وقد حدثني في موضوع عزمه على كتابة مقدمة لديوان المجنون يعرف فيها فقط بالوالي والوالي اسم في ذاكرتي كثيراً ما راودتني فكرة البحث عنه والتعريف به ولكن مشاغل الحياة حالت دون ذلك .

ومرت الأيام وصدرت طبعة الآداب لديوان المجنون وبها تعريف د. الجمل بالوالي وقد قرأتها واستفدت منها في هذا التقديم .

لقد حفل تراثنا العربي الخالد بالعديد من الشخصيات التي بخلت علينا كتب التراجم بمعلومات عنهم ومن هؤلاء الوالي .

ولا أكتف القارئ المفضل سراً إن قلت له إن التعرف على شخصية الوالي أمر أرهقني وأعباني ، كذلك البحث عن أي مؤلفات له . ولكن يمكنني القول وأنا سطمئن تماماً أن جمع وترتيب ديوان المجنون هو العمل الوحيد المتواجد له وفقاً للواقع ، اللهم إلا إذا جاء باحث أكثر منا كفاءة واجتهاداً ومثابرة واكتشفت ترجمة شافية للوالي أو مؤلفات أخرى له ، هنا نشكره ونمتن له لأنه فتح طريقاً جديداً كان مقفلاً أمامنا .

في الفهرست لابن النديم (ص ٤٢٥) جملة من أسماء الكتب التي ألفها أصحابها

في سير العشاق من بينها كتاب (مجنون ليلي)، والمعروف أن ابن النديم انتهى من تأليف الفهرست في حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وأوافق الدكتور/الجمال في أن الكتاب الذي جمعه الوالي هو المقصود في فهرست ابن النديم.

لأننا لم نعرف كتاباً مستقلاً عن المجنون وليلاه غيره في فترة ما قبل تأليف الفهرست.

واستاذنا المفضل (رحمه الله) عبد الستار أحمد فراج عندما جمع ديوان مجنون ليلي اعتمد على ما دونه أبو بكر الوالي وهذا دليل على أهمية هذه الرواية إلى حد تسجيل الأشعار المشكوك في نسبتها إلى المجنون ولكنها وردت في ثنايا الكتاب.

● أما شيخنا الوالي نفسه فقد اعتمد على روايات كثيرة نقلها في كتابه، وسنكتفي ببعضها والتي تعيننا في تحديد الفترة الزمنية التي عاشها الوالي.

الرواية الأولى

«حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق» وأبو عمرو الشيباني كما نعلم لغوي كبير من نحاة الكوفة العراقية توفي سنة ٢١٠هـ - وفي رواية أخرى ٢٠٦هـ. وتدل الرواية المذكورة أن الوالي سمع أبا عمرو ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري.

الرواية الثانية

نقلها الوالي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى سنة ٢٢٥هـ بقوله: «حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال...». ونرجح أن هذه الرواية كانت في بداية القرن الثالث الهجري.

الرواية الثالثة

عن الحسن بن سهل المتوفى سنة ٢٣٦هـ ذكر الوالي: قال الحسن بن سهل: أنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لليلي العامرية».

وهذه الرواية سمعها الوالي قبل أن يصاب الحسن بن سهل بمرض نفسي في عام ٢٠٣ هـ وتوفي على إثره.



والمراجع للكتاب الذي بين أيدينا (ديوان مجنون ليلي برواية الوالي) يلاحظ أنه يخلو من ترتيب قوافيه. ومعنى ذلك أن رواياته التي جمعها الوالي جمعها من خلال ما توافر لديه من معلومات وروايات فجاءت الروايات السابقة متأخرة عن الروايات الأخرى، وهذه دلالة على وصولها إليه متأخرة فأوردها في كتابه حسب وصولها إليه في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري.

ولهذا نوافق الدكتور/ الجمل في خلافه مع ما ذكره الاستاذ/ عبد الستار أحمد فراج من أن الوالي كان من رجال أواخر القرن الثاني الهجري.

فبناءً على الروايات السابقة يحق لنا أن نتوسع قليلاً ونرجح أن الوالي كان حياً في أوائل القرن الثالث الهجري، ذلك القرن الذي كان يزخر بالعديد من الشخصيات الأدبية، وقد ضاع ذكر بعضهم ومن بينهم الوالي نفسه.

ولكن بالبحث والتقصي وجدت الوالي مذكوراً في كتابين.

الكتاب الأول:

كتاب الأمالي لأبي علي القالي (الجزء الثاني/ ص ١٤٢)، «قال وأخبرني عبد الله بن خلف، قال أخبرني أحمد بن زهير، قال أخبرني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن بعض أهله، عن أبي بكر الوالي».

الكتاب الثاني:

كتاب (بسط المسامر في أخبار مجنون بني عامر/ لمحمد بن طولون الدمشقي المتوفى (٩٥٣ هـ). [ص ٣٩].

«حدثنا التنوخي، حدثنا ابن حيويه، حدثنا ابن المرزبان، حدثنا محمد بن خلف، أخبرني أبو بكر العامري عن عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو الشيباني عن أبي بكر الوالي».

● وهاتان الروايتان تدلان على معرفة رجال السند بالوالي الأديب العالم أو الكاتب الراوية، وكان من الممكن جداً أن نجد المزيد من هذه المعلومات لولا ضياع

وفقد، الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية إبان الغزو المغولي للبلاد العربية والغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية بعد ذلك.

أضف إلى ذلك ما تعرضت له وتعرض مخطوطاتنا من نهب وسرقة وتهريب في وضوح النهار وفي غيبة من رقابة أولي الأمر، والنشاط المكثف لمافيا التراث الذي لا يهدأ ونحن في غفلة لا نعرف مداها^(١).

وقد تمدنا المخطوطات المحفوظة في دهايز ومخازن المكتبات ونحن نجهلها - فالمعرفة الشخصية لها حدود وليس من المعقول أن يعرف الإنسان كل شيء - بالمعلومات عن شخصيات أدبية ما زالت مجهولة علينا ومن بينهم الوالي نفسه الذي نرجح أن وفاته كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري - والله أعلم ورسوله .

(١) راجع التعريف بالوالي الذي كتبه الأخ الصديق الدكتور/ عبد الرحيم يوسف الجمل بطبعة الاداب المصرية لديوان مجنون ليلى للوالي (الصفحات من ج إلى و).

**ديوان مجنون
ليلى
برواية الوالبي**

[نص الديوان]

بسم الله الرحمن الرحيم [المقدمة]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتمه النبيين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين .

[الاختلاف في اسم المجنون]

قال أبو بكر الوالبي : اختلف في اسم مجنون بني عامر^(١) : هل هو عامر^(٢) أو مهدي أو الأقرع أو معاذ أو قيس ابنه أو ابن الملوّح أو البحتري بن الجعد؟ والصحيح الأول . وفي نسبه : هل هو عامري أو كلابي أو جعدي أو قشيري ، أو المجانين متعددة ، أو هما اثنان في بني عامر؟ والصحيح الأول^(٣) .

(١) في نسخة (اختلف في اسم المجنون) .

(٢) في نسخة (هل هو قيس) بدلاً من (هل هو عامر) .

(٣) والصحيح في رأينا أنه قيس بن معاذ ، أو قيس بن الملوّح أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة . وفي رأينا أيضاً أن المجنون شخصية واحدة .

[بداية الحب]

وكان من حديثه: أنه كان صغيراً، وليلى^(٤) وهي ابنة عمه كانت صغيرة أيضاً، فكانا يجتمعان في بهم (أي أغنام لهما)^(٥) يتحدثان وهما صغيران، فلما شبا وكبرا جعل حبهما يزيد وينمو كل يوم وساعة.

● قال: وكانت ليلي بصيرة بالشعر والأدب ووقائع العرب في الجاهلية والإسلام، وكان فتیان بني عامر يجلسون إلى ليلي ويتناشدون عندها الأشعار، وكان قيس فيمن يجلسون إليها، فلم يكن في بني عامر فتى أحب إليها ولا أكرم عليها منه، حتى إذا بدت حاجة لفتى في بني عامر إلى ليلي توسل بالمجنون إليها، فلم يزال كذلك برهة من الدهر حتى فشا أمرهما وارتاب بهما قومهما، فلما كان ذات يوم سألهما قيس حاجة لنفسه، لينظر هل له في قلبها مثل الذي في قلبه لها، فمنعته حاجته، فاغرورقت عيناه لمنعها إياه حاجته فأنشأ يقول^(٦):

(٤) ليلي العامرية اسمها ليلي بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الجريس بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكنيتها أم مالك كما جاء في شعر المجنون نفسه (راجع الأغاني ٥/٢).

(٥) الصحيح أن البهم جمع بهمة وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز.

(٦) يقال إن ليلي وقيس تعارفا وهما صبيان حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة البرينة وترعرعت. وهناك رأي آخر يقول: إن قيساً مر يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلته السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيته وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته.

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فاغضبه ذلك وقال شعراً.

فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكن وجد ليلي فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنع لها مثل ما صنع مع صويحياتها بالأمس، فأظهرت ليلي إعراضها عنه فأصابه لذلك هم شديد، فما كان من ليلي إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكذب يسمعه حتى خر مغشياً عليه.

واعتقد إن هذه الرواية متأثرة إلى حد كبير وبالذات في موضوع عقر الناقتين بما روي عن امرئ القيس الشاعر الجاهلي وقصته مع ابنة عمه (عنيزة) في يوم دارة جلجل يعقره للعداري مطيته وإذا ذبح امرؤ القيس مطية أو أكثر فالأمر بالنسبة له سهل ميسور لأنه ابن ملك وعلى قدر كبير من الغنى ولكن شاعرنا

مضى زمن والناس يستشفعون بي
يُضَعِّفُنِي حَبِيكَ^(٧) حتى كأنني
إذا ما لحاني العاذلات بحبها
مدى الدهر أو يندى الصفا من متونه
وحتى دعاني الناس أحمقاً مائثاً^(١٠)
وكيف أطيع العاذلات وحبها
وقال أيضاً:

تعلقتُ ليلي وهي غرٌ صغيرة
صغيرين نرعى البهْمَ يا ليت أننا
ولم يبد للأتراب^(١١) من ثديها حجمٌ
إلى اليوم لم تكبر^(١٢) ولم تكبر البهْمُ

المجنون رجل فقير محدود الإمكانيات فمن أين له بالناقتين كي يذبحهما؟!
وليس من المعقول أن يحب ليلي من أول نظرة، فتظهر له إعراضها فيصاب بهم شديد، فتقول له شعراً فيخبر
مغشياً عليه!!!

الرواية الثالثة أو الرأي الثالث يحاول أن يصور قيس بن الملوح بصورة حيوانية حيث تذكر أنه كان شديد
الولع بالنساء، وإن ليلي العامرية كانت أجمل وأملح النساء في حبيها وإن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن
إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى بها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما
كان.

ونحن لا نمانع أن تكون ليلي جميلة، وأن تكون بصيرة بالأدب والشعر ووقائع العرب في الجاهلية
والإسلام، وكان فتيان بني عامر يجلسون إلى ليلي ويتناشدون عندها الأشعار، وكان قيس فيمن يجلسون
إليها، ولم يكن في بني عامر فتى أحب إليها ولا أكرم عليها منه.

نحن لا نمانع في كل ذلك ولكن أن يصور قيس بأنه زير نساء ولوع بالمرأة فالغزارة الأولى لأشعاره تجعلنا
نعرف أن الرجل يعرف الحب الصادق والعاطفة الجياشة النبيلة، يعشش ليلي عشقاً فيه السمو والنقاء،
يجعلنا ذلك نؤكد أن الرجل لم يكن حيواناً أو شهوانياً بأي حال من الأحوال.

(٧) حبيك: أي حبي لك، التليد: الموروث، نزع: خال.

(٨) لحاني: لأمني العاذلات بحب ليلي، أجن (بضم الهمزة، وكسر الجيم، وضم النون وتشديدها) أخفي،
وصديق: على وزن فاعيل، من صدع بالحق إذا تكلم به.

(٩) الدهر هو الزمن، والصفا: جمع صفاة وهي الصخر أو موضع في مكة المكرمة، ويندى: يجود أو يسخو،
ويشعب: يتفرق.

(١٠) مائثاً: اسم فاعل من مَاق وهو الفواق وسط شدة الشجيع.

(١١) الأتراب: الأصدقاء والأصحاب والمعنى: تعلقتها وهي ما تزال صغيرة.

(١٢) في نسخة (إلي اليوم تكبر ولم تكبر البهْم) والصواب المقبول (لم تكبر ولم تكبر البهْم) وهو ما أثبتناه في
الآبيات.

فأجابته ليلى وهي باكية لما سمعت شعره:

وكلُّ مظهرٍ للناس بُغضاً وكلُّ عند صاحبه مَكِينُ
تَخَبَّرْنَا العيونُ بما أردنا وفي القلبين ثُمَّ هوى دفين^(١٣)

(١٣) أورد الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني قصة هذين البيتين وخلاصتها أن ليلى أرادت أن تختبر حب قيس لها فأظهرت اهتمامها آخر، فامتنع لون قيس واغشي عليه فعرفت بحبه المكتوم، وقالت البيتين تؤكد له حبها أيضاً. ومعنى ذلك أن الحب لم يكن من طرف واحد كما يزعم بعض الباحثين.

[الإغماء حباً]

فلما سمع مقالتها^(١٤) خر مغشياً عليه^(١٥)، فلما أفاق^(١٦) قال:

صرِيعٌ من الحب المبرِّحِ والهوى وأيُّ فتىٍّ مِنْ عِلَّةِ الحبِّ يَسْلَمُ^(١٧)
فقطن جليساؤه عند ذلك فأخبروا أباهَا، فحجبوها عنه وعن سائر الناس، وقدموه
إلى السلطان فأهدر السلطان دمه إن هوزارها.

فلما حجبت^(١٨) عنه أنشأ يقول:

ألا حُجِبْتُ ليلي وآليَ أميرها	عليَّ يميناً جاهلاً لا أزورها
وأوعَدَنِي فيها رجالٌ أبوهُمُ	أبي وأبوها خُشْتُ لي صدورها
على غيرِ شيءٍ غيرَ أني أحبها	وأن فؤادي عند ليلي أسيرها
وإني إذا حنَّ إلى الإلفِ إلْفها	هفا بفؤادي حيث حنَّ سَحورها

(١٤) سمع البيتين السابقين.

(١٥) سقط في حالة إغماء شديدة.

(١٦) فلما انتبه وأفاق من الإغماء.

(١٧) قَتِيل بسبب الحب الشديد الذي يملك أقطار نفسه، ويسأل قيس، وأي فتى من الفتيان خالٍ من علة الحب، سالم منه.

(١٨) التقاليد العربية ترفض بشدة أن يأتي شاعر أو محب بسيرة محبوبته قبل أن يتزوج بها. وعلم جلساء ليلي وقيس ما بينهما من حب نقي طاهر، فأخبروا أهلها فمنعوها الخروج عنه وعن سائر الناس، وقدموا أمره إلى السلطان الذي أهدر دمه إن هوزارها. أو اقترب من حبها.

[المهدي يرفض]

ثم إنه لما اشتهر بحبها وابتلي ، قام أبوه وإخوته وبنو عمه وأهل بيته فأتوا أبا ليلي وسألوه بالرحم والقربة والحق العظيم أن يزوجها منه ، وأخبروه أنه ابتلي بها . فأبى أبو ليلي ولج وحلف وقال : والله لا حدثت العربُ أني زوجت عاشقاً مجنوناً . فأقبل الناس إلى أبي المجنون وقالوا له : لو أخرجته إلى مكة فعوذته بيت الله الحرام لعل الله يعافيه مما ابتلي ! . فأخرجه أبوه إلى مكة وهما راكبان جملاً في محمل ، فلما قدما مكة قال له أبوه : «يا قيس ! تعلق بأستار الكعبة» ففعل ، فقال : قل اللهم أرحني من ليلي وحبها ، فقال : «اللهم من عليّ بليلى وقربها» فضربه أبوه^(١٩) ، فأنشأ يقول :

يا رب إنك ذو من ومغفرة	بيت بعافية ليل المحبينا
الذاكرين الهوى من بعدما رقدوا	الساقطين على الأيدي المكيينا
يا رب لا تسلبني ^(٢٠) حبها أبداً	ويرحم الله عبداً قال آمينا

وقال أيضاً :

دعا المحرمون الله يستغفرونه	بمكة شعناً كي تمحى ذنوبها ^(٢١)
وناديت يا رحمن ! أول سؤلتي	لنفسى ليلي ثم أنت حسيبها
وإن أعط ليلي في حياتي لم يتب	إلى الله عبد توبة لا أتوبها
يقر العيني قربها ويزيدني	بها عجباً من كان عندي يعيها

(١٩) شاع أمر قصة الحب بين ليلي وقيس ، فقام أهل قيس بزيارة المهدي والد ليلي وسألوه بصلة الرحم والقربة أن يزوج قيس من ليلي ، ولكن والد ليل أصر على موقفه .

واقترح الناس على والد المجنون أن يصحبه إلى زيارة بيت الله الحرام لعل المولى سبحانه يعافيه ، وتعلق قيس بأستار الكعبة طالباً من الله أن يمن عليه بليلى ويقربها له ، ولكن الأب ضربه على صدره قائلاً له : قل اللهم أرحني من ليلي وحبها .

(٢٠) في نسخة «لا تسلبني» وهناك كسري الوزن .

(٢١) في نسخة «كي تمحاهن ذنوبها» وهناك كسري الوزن .

وكم قائل قد قال تب فعصيته
وما هجرتك النفس يا ليل أنها
فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي
وتلك لعمري خلة لا أصيها
قلتك ولكن قل منك نصيها
بأول نفس غاب عنها حييها

[باسم ليلى]

فلما سمع أبوه هذه الأبيات رق له ، فأخذه بيده نحو منى يريد رمي الجمار ، فبينما هو بمنى إذ سمع منادياً ينادي من بعض تلك الخيام «يا ليلى» ، فخر مغشياً عليه ، واجتمع عليه قومه ، وأبوه باك حزين ، فأفاق وهو مصفر اللون وأنشأ يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِنْ مِنى	فهَيْجَ أَحْزَانِ الفؤادِ وما يدري
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما	أطار بِلبي طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه	وليلى بأرض الشام في بلد قفر
عرضتُ على قلبي العزاء فقال لي	مِنْ الآنَ فاجزع لا تَمَلْ من الصبر
إذا بانَ مَنْ تهوى وشطَّ به النوى	ففرقة مَنْ تهوى أحرَّ من الجمر

[نار الأسى]

وقال :

ونار الأسى ترمي فؤادي بالجمر
وأني هوى يبقَى على حدّث الدهر
ويقدح بالعصرين في الجبل الوعر
فزعت إلى دلحاء دائمة القطر^(٢٣)
وما ناحت الأطيّار في وضح الفجر^(٢٤)
وما صدحت في الصبح غادية الكدر^(٢٥)
مطوّقة شجواً على فنن السدر^(٢٦)
وما هطلت عينٌ على واضح النحر
وما مرّ طول الدهر ذكرُك في صدري^(٢٧)
وما طفح الأذى في لجج البحر^(٢٨)
قلاص تؤمّ البيت في البلد القفر^(٢٩)
وأن لست مني حيث كنت على ذكر
وتسلو ومالي عن أليفي من صبر
وما خبّ آل في معلّمة ققر^(٣٠)

أيا ليلَ زَند البين يقدح في صدري^(٢٢)
أبى حَدَثان الدهر إلا تشتتاً
تَعَزَّ فإن الدهر يجرح في الصفا
وإني إذا ما أعورَ الدمعُ أهله
فوالله ما أنساك ما هبّت الصبا
وما نطقْتُ بالليل سارية القطا
وما لاح نجمٌ في السماء وما بكت
وما طلعت شمسٌ لدى كل شارِقٍ
وما اغطوطش الغريب واسودّ لونه
وما حملتُ أنثى وما خبّ ذعلبٌ
وما زحفتُ تحت الرحال بركبها
فلا تحسي يا ليل أني نسيتكم
أبيكي الحمامُ الورق من فقد إلفه
فأقسمُ لا أنساك ما ذرّ شارِق

(٢٢) شبه قيس الفراق بحجر يقدح بآلة فينطير الشرر منه .

(٢٣) الدلحاء هي السحابة دائمة القطر، دائمة المطر، وهي كناية عن عينه الدامعة دائماً .

(٢٤) الصبا: هي ريح تهب من جهة الشمال، وضح: ضوء .

(٢٥) سارية القطا: الطير المسافر بالليل، غادية الكدر: الطيور الملونة الآتية في الصباح الباكر .

(٢٦) المطوقة: الحمامة، فنن: الغصن، السدر: شجر البق .

(٢٧) اغطوطش: اشتد سواده، الغريب: هو الغراب الشديد السواد .

(٢٨) خب: سار سيراً، ذعلب: الناقة، الأذى: موج البحر .

(٢٩) قلاص: جمع قلوص وهي الناقة، تؤم: تقصد، البيت يعني بيت الله الحرام، البلد القفر: مكة المكرمة .

(٣٠) ذرّ: تفرق وانتشر، شارِق: أي الشمس، خب: سار، آل: سراب، معلمة قفر: صحراء قاحلة جرداء .

ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً أناجيكمُ حتى أرى غُرَّةَ الفجر
لقد حملتُ أيدي الزمانِ مطيتي على مركبٍ مستعطلِ النَّابِ والظفر^(٣١)
فلما سمع أبوه هذه الأبيات أخذ بيده إلى محفل من الناس .

(٣١) كأنما الزمان يسوق مجنون ليلي ، وكأنه ناقة تساق ، مستعطل النَّاب والظفر : ليس له ناب ولا ظفر .

[هوى ليلى]

● فسألهم أن يدعوا الله تعالى له بالفرج ، فلما أخذ الناس في الدعاء أنشأ يقول :

ذكرتك والحجيج لهم ضجيجُ	بمكة والقلوبُ لها وجيبُ
فقلتُ ونحن في بلدٍ حرام	به لله أخلصت القلوب
أتوب إليك يا رحمنُ مما	عملتُ فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى ليلى وتركي	زيارتها فإنني لا أتوب
وكيف وعندها قلبي زهينُ	أتوب إليك منها أو أنيب

[الحب قاتل]

وعن أبي مسكين قال : خرج رجل منا حتى إذا كان بموضع يقال له بئر ميمون ، إذ هو بجماعة في ذرى جبل ، وإذا فتى قد تعلقوا به كأحسن ما يكون من الرجال وأجملهم يريد أن يرمي بنفسه من أعلى الجبل غير أنه مصفر اللون ناحل البدن وهو يقول :

لقد همَّ قيس أن يزجَّ بنفسه	ويرمي بها من ذروة الجبل الصعب
فلا غرو أن الحبَّ للمرء قاتلُ	يُقلبه ما شاء جنباً إلى جنب
أناخ هوى ليلى به فأذابه ^(٣٢)	ومن ذا يطيق الصبرَ عن محمل الحب
فيسقيه كأس الموت قبل أوانه	ويُورده قبل الممات إلى الترب

(٣٢) أناخ هوى ليلى : شبه المجنون هوى ليلى العامرية بناقة جثمت على صدره .
وفي نسخة «فإذا به» والصواب ما أثبتناه .

[أرض نجد]

● قال : فسألت عنه فقيل هذا مجنون بني عامر أخرجه أبوه إلى هذا الجبل يستقبل الريح التي تهب من ناحية نجد، ويكره أن يخليه فيرمي بنفسه من الجبل، فلو شئت دنوت منه فأخبرته أنك قدمت من ناحية نجد، فتقدّم إليه فلعله ينزل من الجبل، قلت نعم، فدنوت منه، فقالوا يا أبا المهدي هذا رجل قدم من ناحية نجد، قال فتنفس الصعداء حتى ظننت أن كبده تصدعت، ثم جلس يسألني عنها وعن بلاد نجد، فأقبلت أحدثه وأصف له، وهو يبكي أشد بكاء وأوجعه للقلب، ويقول :

وأرواحها إن كان نجد على العهد	ألا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابها
لِطولِ التناهي هل تغيّرتا بعدي ^(٣٣)	ألا ليت شعري عن عوِـرِـضَتِي قُبا
إذا هو أمسى ليلةً بشرى جَعْد ^(٣٤)	وعن أقحوان الرمل ما هو فاعلٌ
على عهدنا أم لم تدوما على عهد ^(٣٥)	وعن جارِـتِنَا بالبـتـيل إلى الحمى
بريح الخزامى ^(٣٦) هل تهبُّ إلى نجد	وعن علـوِـيَّاتِ الرِّيح إذا جرت
على لاحقِ الإطـلـين منذلـقِ الوَـخـد ^(٣٧)	وهل تُنفـضُ الرِّيحُ أفـنانَ لِمَـتـي
تُطـالـع مِن وهـدٍ خـصـيبٍ إلى وهـد ^(٣٨)	وهل أسمعُ الدهرَ أصواتَ هـجـمـةٍ

(٣٣) (عويرضتي) : عوارضة وقبا اسمان لجبلين لبني فزارة (راجع الأغاني).

(٣٤) الأـقـحـوان : البابونج وهو نبت طيب الرائحة، ورقه أبيض ووسطه أصفر، ثرى جعد : تراب نـد.

(٣٥) البتيل : اسم جبل في نجد، وتدوما : في نسخة «يدوما».

(٣٦) علويات الرياح : الرياح التي تهب من العالية وهو اسم لموضع بين نجد وتهامة.

(٣٧) اللمة بالكسر : الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، لاحق الإطـلـين : ضامر، المتنان : جنبنا الظهر، وهي كناية عن الخيل العربي الأصيل، منذلق الوخذ : أي سريع واسع الخطى يقال جمل وأخذ أي رسع الخطا.

(٣٨) في نسخة «هجة»، والهجة : العدد الكبير من الإبل يسير معاً، وهـد : الأرض السهلة.

[بعد النساء]

● قال : فأقبل أبوه بعد أن قضى نسكه يريد أهله ، فلما قدم جمع أعمامه وأخواله فلاموه وعذلوه وقالوا « لا خير لك في ليلى ولا لها فيك ، وقد رُدَدنا عنها ، ولك في بنات عمك من خير لك منها ، فلو تزوجت واحدة منهن نرجو أن يزول عنك بعض ما يقلبك من حبها ، فأنشأ يقول :

لقد لامني في حب ليلى أقاربٌ	أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا ^(٣٩)
يقولون ليلى أهل بيت عداوة	بنفسي ليلى من عدو وماليا
أرى أهل ليلى لا يريدون بيعها	بشيء ولا أهلي يريدونها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا	وبالشوق والإبعاد منها قضى ليا
قسمت الهوى نصفين بيني وبينها	فنصف لها هذا لهذا وذا ليا
ألا يا حمامات العراق أعنني	على شجني وابكين مثل بكائيا
يقولون ليلى بالعراق مريضة	فياليتني كنت الطبيب مداويا
فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها	وخرقة ليلى في الفؤاد كما هيا
علي لئن لاقيت ليلى بخلوة	زيارة بيت الله رجلاي حافيا ^(٤٠)
فيا رب قد صيرت ليلى هي المنا	فزني بعينها كما زنتها ليا
وإلا فبغضها إلي وأهلها	فإن بليلي قد لقيت الدواهيا
يلومون قيساً بعدما شفه الهوى	وبات يراعي النجم حيران باكياً
فيا عجباً ممن يلوم على الهوى	فتى دنفاً أمسى من الصبر عارياً ^(٤١)
ينادي الذي فوق السموات عرشه	ليكشف وجداً بين جنبيه ثاويًا
بساحرة العينين كالشمس وجهها	يضيء سناها في الدجى متساميا

(٣٩) في نسخة «أقاربي».

(٤٠) في نسخة «رجلان» بفتح الراء، وتسكين الجيم، وفتح النون - أي سائراً على الأقدام.

(٤١) دنفاً: مريضاً مرضاً ملازماً والفتى هوقيس الذي أمسى من الصبر عارياً أي نفذ صبره.

[سلام على ليلى]

قال : فلما سمعوا مقالته أسمعوه ما يكره فمر على وجهه آسياً مهموماً حزيناً متفكراً
في أمرها حتى منعه ذلك من الطعام والشراب ، وترك محادثة الناس وصار في حدٍ يرحمه
من رآه من عدو وصديق ، فقال :

ما بال قلبك يا مجنونٌ قد هلعا	من حب من لا ترى في وصلها طمعا
الحب والعشق سيطاً من دمي لهما	فأصبحا في فؤادي نابتين معا ^(٤٢)
طوبى لمن أنت في الدنيا قريبته	لقد نفى الله عنه الهمَّ والجزعا
بل ما قرأت كتاباً منك يبلغني	إلا ترقرق ماء العين أو دمعاً
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني	حتى إذا قلت هذا صادق نزعاً
لا أستطيع نزوعاً عن مودتها	ويصنع الحب بي فوق الذي صنعا
كم من دنيء لها قد كنت أتبعه	ولو صحبا ^(٤٣) القلب عنها كان لي تبعا
وزادني كلفاً في الحب أن مُنعت	أحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنعا
أقر السلام على ليلى وحق لها	منى التحية إن الموت قد نزعاً ^(٤٤)
أما أم هو حي في البلاد فقد	قلَّ العزاء وأبدى القلب ما جزعا

(٤٢) سيطاً : أي تكونا بامتزاجهما واختلاطهما .

(٤٣) في نسخة «لوصح القلب» والصواب ما أثبتناه .

(٤٤) في نسخة «أقرأ» بالألف والصواب «أقر السلام على ليلى» .

[إلى الواديين]

وقيل : كان المجنون بموضع يسمى الواديين وكان يجلس بينهما ويخلو في بيته .
فخرج يوماً يريد هما ، فلما صار قريباً من الواديين انشأ يقول :

ألا لا أرى وادي المياه يُثيب	ولا النفس عن وادي المياه تطيبُ
أحب هبوطَ الواديين وإنني	لمشتهرُ بالواديين غريب
أحقاً عبادة الله أن لستُ وارداً	ولا صادراً إلا عليّ رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة	من الناس إلا قيل أنت مُريب
وهل ريةً في أن تحنَّ نجيبةً	إلى إلفها أو أن يحنَّ نجيب ^(٤٥)
وإن الكثيبَ الفرد من جانب الحمى	إلني وإن لم اته لحبيب ^(٤٦)
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر	حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

(٤٥) نجبية : ناقة ، والنجيب والنجية كناية واضحة عن قيس ومحبوته ليلى العامرية .

(٤٦) الكثيب على وزن فعيل وهو مجتمع الرمل ، الحمى بكسر الحاء هو الجار أو كل ما يجب حمايته .

[إلى بابل]

وَذَكَرَ أَنْ أَبَاهُ الْمَلُوحَ أَتَاهُ وَحَمَلَهُ إِلَى بَابِلَ لِيَعَالِجَهُ وَذَلِكَ قَبْلَ نَزُولِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ
الْحُبِّ الشَّدِيدِ وَسُورَةِ الْعَشَقِّ، فَحَمَلَهُ عَلَى نَاقَتِهِ، فَلَمَّا أَمَعْنَا فِي السَّيْرِ ذَكَرَ الْمَجْنُونُ
لَيْلِي، فَلَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ قَالَ:

تَمَتَّعَ مِنْ دُرَى هَضْبَاتِ نَجْدٍ فَإِنَّكَ مَوْشَكٌ أَنْ لَا تَرَاهَا
أَوَدَّعَهَا الْغَدَاةَ فَكَلَّ نَفْسٍ مَفَارِقَةً إِذَا بَلَغْتَ مَدَاهَا

قال: فبكى أبوه رحمة له وقال: يا بني هل لك أن تسلوبغيرها؟ فقال: والله ما أجد
إلى السلوسبيلاً وإنني لفي أعظم الكرب والبلاء، وأنشأ يقول:

وَكَمْ قَاتِلٍ لِي أَسْلَوْ^(٤٧) عَنْهَا بَغِيرَهَا وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ عَجِيبٍ
فَقُلْتُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ دَمَوْعُهَا وَقَلْبِي بِأَكْنُافِ الْحَيْبِ يَذُوبُ
لَئِنْ كَانَ لِي قَلْبٌ يَذُوبُ بِذِكْرِهَا وَقَلْبٌ بِأُخْرَى، إِنَّهَا لِقُلُوبُ
فِيَا لَيْلِي جُودِي بِالْوَصَالِ فَإِنِّي بِحَبِّكَ رَهْنٌ وَالْفُؤَادُ كَثِيبُ
لَعَلِّكَ أَنْ تُرَوِّى بُشْرٍ عَلَى الْقَذَى وَتَرْضَى بِأَخْلَاقٍ لَهَا خُطُوبُ^(٤٨)
وَتَبْلِي وَصَالِ الْوَاصِلِينَ فَتَعْلَمِي خَلَاتِقُ مَنْ يُصْفِي الْهَوَى وَيَشُوبُ
لَقَدْ شَفَّ هَذَا الْقَلْبُ أَنْ لَيْسَ بَارِحاً لَهُ شَجْنٌ مَا يُسْتَطَاعُ قَرِيبُ
فَلَا النَّفْسُ تَخْلِيهَا الْأَعَادِي فَتَشْفِي وَلَا النَّفْسُ عَمَّا لَا تَنَالُ تَطِيبُ
لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبُ
وَأَخِذْ مَا أُعْطِيتَ صَفْوَاً وَإِنِّي لِأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيْبُ^(٤٩)
فَلَا تَتْرَكِي نَفْسِي شِعَاعاً فَإِنَّهَا مِنْ الْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ
وَأَلْقَى مِنَ الْحُبِّ الْمَبْرُحِ سَوْرَةً لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ

(٤٧) في نسخة وجدتها «اسل» فعل أمر وهو الأصح وقد تركنا «اسلو» لأنها رواية الوالي.

(٤٨) شرب على القذى: أي شرب مرغماً.

(٤٩) أزور: منحرف مبتعد، هيبوب على وزن فعول وهي صيغة مبالغة من الفعل (هاب).

[دعوني]

قال الوالبي : بلغني أنه دخل بابل واجتمع إليه المطببون وأقبلوا يسقونه شربة بعد شربة ويكoonه، فلما أكثروا عليه أنشأ يقول :

دعوني دعوني قد أطلتم عذابيا	وأنضجتم جلدي بحرّ المكاويا
دعوني أمت غما وهماً وكربة	أيا ويح قلبي من به مثل ما بيا
دعوني يغني وأنهدوا في كلاءة	من الله قد أيقنت أن لست باقيا ^(٥٠)
دعوني لي لقيت من الهوى	تباريح أبلت جدتي وشبابيا
براني شوق لو برصوى لهذه	ولو بشير صار رسماً وسافيا ^(٥١)
سفي الله أضلالا ناحية الحمى	وإن كن قد أبدين للناس ما بيا
منازل لو مرّت عليها جنازتي	لقال الصدى يا حامليّ انزلا بيا
فاشهد بالرحمن من كان مؤمناً	ومن كان يرجو الله فهو دعا ليا ^(٥٢)
لحا الله أقواما يقولون إننا	وجدنا الهوى في النأي للصب شافيا ^(٥٣)
فما بال قلبي هذه الشوق والهوى	وأنضج حرّ البين مني فؤاديا
ألا ليت عيني قد رأت من راكم	لعلي أسلو ساعة من هياميا
وهيهات أن أسلو من الحزن والهوى	وهذا قميصي من جوى البين باليا
فقلت نسيم الريح أدّ تحيتي	إليها وما قد حلّ بي ودهانيا
فاشكره إني إلى ذاك شائق	فياليت شعري هل يكون تلاقيا
معذبتني ! لولاك ما كنت هائماً	أبيت سخين العين حرّان باكيا
معذبتني ! قد طال وجدي وشفني	هواك فيا للناس قل عزائيا

(٥٠) إنهدوا أي انهضوا واتركوني، كلاءة من الله : حفظ من الله .

(٥١) براني : سلائي، رضوى : اسم جبل، ثبير : اسم جبل، رسماً : قبراً، سافياً : تراباً .

(٥٢) في نسخة «فاشهدوا بالرحمن . . . » والأقرب للصواب ما أثبتناه .

(٥٣) لحا الله أقواماً : دعاء ومعناه لعن الله أقواماً وهو دعاء مشهور عليهم، النأي : البعد، الصب : شديد الغرام .

معذبتي! أوردتني منهل الردى
خليلي هيا فاسعداني على البكا
خليلي إني قد أرت ونيمتما
خليلي لو كنت الصحيح وكنتما
خليلي مدا لي فراشي وارفعنا
خليلي قد حانت وفاتي فاطلبنا
وإن مت من داء الصبابة بلغنا

وأخلفت ظني واخترمت وصاليا^(٥٤)
فقد جهدت نفسي ورب المانيا
لبرقي يمان فاجلسا عللانيا
سقيمين لم أفعل كفعلكما بيا
وسادي لعل النوم يذهب ما بيا
لي النعش والأكفان واستغفرا ليا
نتيجة ضوء الشمس مني سلاميا

(٥٤) يخاطب ليلي بأسلوب رقيق فيصفها بأنها معذبة التي أوردته منهل الهلاك، وأخلفت ظنه، واخترمت وصاله.

والمنهل: حوض الشرب.

والردى: الموت أو الهلاك.

واخترمت وصاليا: قطعت.

[من صحراء بني تميم]

وقال بعضهم: بينا أنا أدور في صحراء بني تميم إذ مررت بقانصين قد قنصا ظبياً وعقلاه، فوقفت أنظر إليهما، إذا أنا بغلام قد أقبل كأن وجهه فلقة قمر عليه ضفيران تضربان خصره، فدنا منهما وتأمل الظبي، ثم أرسل عينيه بالبكاء وهو يقول:

وَذَكَّرَنِي مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ مُحَاجِرٌ خَشَفَ فِي حَبَائِلِ قَانِصٍ^(٥٥)
فَقُلْتُ وَدَمْعَ الْعَيْنِ يَجْرِي بِحَرَقَةٍ وَلِحَظِي إِلَى عَيْنِهِ لِحْظَةً شَاخِصٍ
أَلَا أَيُّ هَذَا الْقَانِصُ الْخَشَفَ خَلَّهُ وَإِنْ كُنْتُ تَأْبَاهُ فَخُذْ بِقَلَائِصِي^(٥٦)
خَفِ اللَّهُ، لَا تَقْتُلْهُ إِنَّ شَبِيهَهُ حَيَاتِي وَقَدْ أَرْعَدَتْ مِنِّي فَرَائِصِي
[فوالله ما برح حتى اشتراه وخلي سبيله].

(٥٥) المحاجر هي العيون، والخشف: ولد الغزال، والحبال هي شباك، والقانص: الصياد.

(٥٦) خله أي أطلق سراحه، وقلائص جمع على وزن فعائل، ومفردها القلوص وهي الشابة من النوق.

[قيس في منظور العشاق]

وقيل: دخل كثير بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان وقد قعد للشرب، فقال: يا كثير هل رأيتَ أعشَقَ منك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: وكيف وأنت القائل:

رُكبانُ مكة والذين أراهم يبلون من حرِّ الفؤاد مُموداً^(٥٧)
لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزّة رُكعاً وسجوداً
الله يعلم لو أردت زيادةً في حب عزة ما وجدت مزيداً

قال: أخبرك يا أمير المؤمنين، بينما أنا أسير في بعض البوادي في ساعة الهاجرة في يوم شديد الحر، إدرفع لي شخص في مفازة ليس بها أنيس، فذعرت منه، ثم ملت إليه، فإذا هو شاب حسن الوجه جعد الشعر فقلت: إنسي أنت أم جني؟ قال بل إنسي فقلت: ما أخرجك في هذه الساعة إلى هذه البرية؟ قال: نصبت شركاً للظباء. قلت - وقد قرمت^(٥٨) إلى اللحم يا أمير المؤمنين -: تجعل لي نصيباً إن أقمت عليك؟ قال نعم ونعمة عين، فأقمت عنده حتى اقتنص ظبية كأحسن ما يكون من الظباء، ثم قبض على قرننها وأقبل ينظر في محاسنها ويقول:

أيا شبة ليلي لا تُراعي فإنني لك اليوم من بين الوحوش صديق
ثم أطلقها وجعل ينظر في أثرها ويقول:

أقول وقد أطلقتهما من وثاقها فأنت لليلي إن شكرت عتيق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق
وكاد ببلاد الله يا أم مالك بما رَحبت منكم عليّ تضيق^(٥٩)

(٥٧) قرأتها في نسخة من ديوان مجنون ليلي: «يكون من حرٍّ بدلاً من «يبلون من حرِّ». والهمود هو انطفاء وسكون.

(٥٨) قرمت إلى اللحم: اشتد اشتهائي إلى اللحم.

(٥٩) في الأغاني للأصفهاني:

تكد ببلاد الله يا أم مالك بما رحبت يوماً عليّ تضيق =

قال: ثم وقعت يا أمير المؤمنين ساعة، فإذا قد علقت أخرى فصنع بها ما صنع بالأولى ثم أطلقها وأنشأ يقول:

ألا يا شبه ليلي لا تراعي ولا تنسل^(٦٠) عن ورد التلاع
لقد أشبهتها إلا خللاً نشوز القرن أو خمش الكراع^(٦١)
فتعجبت يا أمير المؤمنين من صنعه، فما كان إلا هنيهة حتى علقت أخرى فأطلقها من وثاقها وجعل يبكي ويقول:

تروّج سالماً يا شبه ليلي قرير العين واستطب البقولا
فليلي أنقذتك من المنايا وفكت عن قوائمك الكبولا^(٦٢)
فعاظني يا أمير المؤمنين غيضاً شديداً وقلت في نفسي ستعلم، ثم مكثنا ساعة فعلقت أخرى فوثبت إليها فكسرت يدها طمعاً في لحمها، فبكي بكاء عالياً، ثم قال: ويحك ما دعاك إلى أن أفسدت موضعاً يوافقني وكنت ألفتة؟، ثم اغتفني فأتى ماء كان قريباً منه فغمس فيه كساءه قبله، ثم أتى توبة فأطفأها، ثم قال أفسدت حالي. ما أراه إلا أنه مات.

فقال عبد الملك بن مروان فأين أنت من قولك حيث تقول:

أيا عزّ لو أشكو الذي قد أصابني إلى ميت في قبره لبكى ليا^(٦٣)
ويا عزّ لو أشكو الذي قد أصابني إلى راهب في دير له لرثى ليا

بدلاً من:

وكاد بلاذ... أم مالك... بما رحبت منكم عليّ تضيق
وأم مالك كنية ليلي العامرية محبوبة قيس بن الملوح وكثيراً ما كان يناديها بهذه الكنية.
(٦٠) تسلسل من الفعل أنسل بمعنى خرج، والتلاع على وزن الفعال، وهي جمع تلعة: ما ارتفع من الأرض وانخفض.
(٦١) خللاً: فعالاً جمع خلة وهي الصفة، نشوز: بروز وارتفاع، خمش بمعنى خدش، والكراع هو في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس والبعير. وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث والجمع (أكراع) ثم (أكراع). وفي المثل: أعطي العبد (كراعاً) فطلب ذراعاً لأن الذراع في اليد وهو أفضل من الكراع في الرجل.
(و) (الكراع) اسم يجمع الخيل. والفعل منها (كرع) في الماء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء وبابه خضع، وفيه لغة أخرى من باب فهم.
(٦٢) قوائمك مفرداً (قائم) اسم فاعل، ومعناها سيقانك، والكبول على وزن فعول: جمع كبل وهو القيد.
(٦٣) (غن) مرخمة حذف منها حرف التاء المربوطة، والمقصود بها (عزة) محبوبة كثير بن عبد الرحمن الشاعر الأموي وشاعر الغزل العذري المعروف.

ويا عَزَّ لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي
ويا عَزَّ لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي
ويا عَزَّ لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي

قال: أشعر مني يا أمير المؤمنين الذي يقول:

إن الطباء التي في الدُّور تُعجبني
لهنَّ أعناقُ غزلانٍ وأعينُها
ولي فؤادٌ يكاد الشوق يصدَّعه
كانت كدرةً بحرٍ غاص غائصها
وتلك الطباء التي لا تأكل الشجرا
وهنَّ أحسن من أبدانها صُورا
إذا تذكر من مكبوتة الذكر
فأسلمتها يدها بعدما قدرا
ويقول:

إذا نظرتُ عرفت الجيدَ منها
كرهنا أن نُفزعَها فقلنا
وعينها ولم تعرف سواها
أشَلَّ الله كفَّ من رماها

قال فمن هذا؟ قلت: يا أمير المؤمنين هو الذي يقول في قصيدته:

وكنْتُ كذَّبَّاحِ العَصافيرِ دائِباً
فلا تنظري ليلي إلى العينِ وانظري
وعيناهُ مِنْ وَجِدٍ عليهن تَهْمَلُ (٦٤)
إلى الكف ماذا بالعصافير تفعل

قال: ويحك عساه المجنون؟ قلت: نعم، قال: فزدني من شعره، فقلت: قال:

لَوْ سَبَّلَ أَهْلَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ
لَقَالَ صَادِقُهُمْ أَنَّ قَدْ بَلَى جَسَدِي
جَفَّتْ مَدَامِعُ عَيْنِ الْجِسْمِ حِينَ بَكَى
وَقَالَ:
هَلْ فَرَجَتْ عَنْكُمْ مُدْمِمْ الْكُرْبُ
لَكِنْ نَارُ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ تَلْتَهَبُ
وَأَنَّ بِالْدمْعِ عَيْنَ الرُّوحِ تَنْسَكِبُ

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي
وما نظري من نحو نجد بنافعي
أفي كل يوم عبرة ثم نظرة
متى يستريح القلب إماماً مجاور
خيأً بنجدٍ دونها الطرف يقصر
أجل ولكني على ذاك أنظر
لعينك يجري ماؤها يتحدر
حزين وإما نازح يتذكر

(٦٤) تهمل أي تدمع.

يقولون كم تجري مدامعُ عينه
وليس الذي يجري من العين ماؤها
وقال:

وشُغِلت عن فهم الحديث سوى
وأديم نحو محدثي ليرى
ما كان منك وحبكم شغلي
أن قد فهمتُ وعندكم عقلي

(٦٥) واكف أي غزير.

[جرير يتكلم]

وقال : واجتمع قوم على جرير بن الخطفي^(٦٦) فقال لهم جرير : ما بيت نصفه كأنه أعرابي على قعود، ونصفه كأنه جالينوس بحكمته؟ قالوا : لا ندري . قال : قد أجلتكم ، قالوا : لو أجلتنا حولين لم ندر ولكن عرّفنا ، فأنشأ يقول :

(ألا أيها النوام ويحكم هبوا) كلمة أعرابي على قعود له ، ثم أدركه اللين ووضح الحب فقال (أسائلكم هل يقتل الرجل الحب).

فقالوا : نعم حتى يرُضَّ عظامه ويتركه حيرانَ ليس له لب
فيا بعلَ ليلى كيف يجمع شملنا لديّ وفيما بيننا شُبَّت الحربُ
لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنباً ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

إلى الإلمام بها ، فنزلت في أرجاء تلك الأزاهير المونقة والأنوار البديعة المورقة . وأنخت ناقتي إلى قنوان^(٦٧) شجرة صغيرة وجلست هنيهة ، فبينما أنا كذلك إذ سقط رجل من جراد^(٦٨) ، فافترشت جنباتها وأخذت طولها وعرضها ، فظللت متعجباً مما أرى ثم رميت نظري في نواحيها فإذا أنا بشخص أقبل ما على جسده غير شعر منسدل على صدره ، وزغبات على عكته^(٦٩) ، فراعني منظره واستطار قلبي خوفاً ووجلاً ، وخشيت أن أكون على شرف الهلاك ، وما شككت أنه شيطان مارد فلما دنا مني أنشأ يقول :

(٦٦) هو جرير بن عطية من قبيلة يربوع وهي فرع من مضر ، كان مولده في اليمامة وهي مدينة الرياض السعودية الآن ، ولد في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث . نشأ جرير فقيراً يرعى الغنم ، ولكنه كان موهوباً في الشعر الذي ورثه - كما يقال - عن أبيه وجده . وقد ظهر في عصر سياسي وأدبي فاشتعلت عبقريته وصار في الصفوف الأولى من شعراء ذلك العصر ، واتصل بالحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بين أمية ، وعن طريقه مدح خلفاء بني أمية ونال جوائزهم ، وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ .

وجرير من شعراء النقائض ، وهو خصم الفرزدق اللدود .

(٦٧) قنوان ، مفرداً قنوّ ، ومعناها فروع .

(٦٨) رحل من جراد : سرب من جراد .

(٦٩) زغبات : الزغب بفتحتين الشعريرات .

والعكن جمع عُكْنة وهي الطية من البطن .

حُبُّ إلینا بِكَ یا جرأُ
أَرْضُ وإنْ جاعت بِكَ الأكبادُ وضافت الأصدار والأورادُ
ولم یکن قبلُ لنا عِتادُ ولا لأبناء السبیل زادُ
فَقُلْتُ: إنْسی أنت أمْ جني؟ فأنشأ یقول:

إلیك عني فإني هائمٌ وصَبُّ
لله قلبی ماذا قد أتیح له
ضافت علیّ بلاد الله ما رحبتُ
البینُ یؤلمني والشوق یجرحني
کیف السبیل إلى لیلی وقد حُجبتُ
عهدي بها زَمنا ما دونها حُجبتُ
ثم خر مغشياً علیه، فبادرت إلى الماء ونضحت علی وجهه، فأفاق بعد حين ثم
تنفس الصعداء فأنشأ یقول:

بلادي لو فهمتِ بسطتُ عذري
بها الحینُ المباح لمن بغاهُ
إلى أهلي الكرام تُشاق نفسي
إذا ما القلبُ عاوده نزوعُ
وجزعٌ للغریب به مریعٌ (٧٢)
فهل يوماً إلى وطني أریع

(٧٠) وصَبُّ: صیغة مبالغة من واصب بمعنى مریض.

(٧١) مطرب علی وزن مفعّل، مكان یكون فیهِ طرب.

(٧٢) الحین (یفتح حرف الحاء) هو الهلاك.

الجزع ضد الصبر.

مریع: مخیف.

[ياركيات الرئيس]

وقيل : كانت العرب تحفر الركايا^(٧٣) والبرك وتملؤها ماء ثم تسقي إبلها وغنمها فإذا انتجعت^(٧٤) إلى غير تلك البقعة عفتها الرياح الصيفية فطمست آثارها القساطل^(٧٥)، فكان المجنون يمر بتلك البقاع فلا يرى غير وتد مشجوج ونؤي^(٧٦) منهدم وطوى مثلوم^(٧٧)، فيستعبر أسفاً وحزناً ويقول:

ألا يا رُكَيَاتِ الرَّسِيسِ عَلَى الْبَلَا سُقَيْتِنِ هَلْ فِي ظُلُكُنِ شَجُونُ^(٧٨)
أُضْرِبُكُنِ الْعَامَ نَوْءُ سَحَابَةٍ وَمَحَلُّ فَمَا تَجْرِي لَكُنِ عَيُونُ^(٧٩)
أَجْتَنُّ بَعْدَ الْحَيِّ فَاَنْصَاخَتِ اللَّوَى وَكَتَنَ عَهْدِي مَا بَكُنَ أَجُونُ^(٨٠)
قال : ثم قعد عند جبل يقال له الوشل بناحية تهامة، كأعظم ما يكون من الجبال، وأنشد يقول:

إقرأ على الوشل السلامَ وقلْ لَهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مُذْ هُجِرَتْ ذَمِيمُ
جبلُ يزيد على الجبال إذا بدا بين الذرائع والحثوم مقيم^(٨١)

(٧٣) الركايا: جمع ركوة وهي الحفرة التي للماء.

(٧٤) تركتها إلى مكان آخر.

(٧٥) القساطل: الأتربة الكثيرة.

(٧٦) مكان متهدم: أو أماكن للسكن متهدمة.

(٧٧) طوى مثلوم: بثر بطوي مهذوم.

(٧٨) الركيات: هي الحفر التي يتجمع فيها الماء.

الرئيس: اسم موضع.

(٧٩) مَحَلُّ: جذب ويبس الأرض.

عيون: المقصود بها عيون الماء.

(٨٠) أَجْتَنُّ: تغير لون ماؤكن وطعمه.

فانصاخت: تصدعت ويبست.

اللوى: اسم موضع أو متقطع الرمل.

(٨١) الذرائع: جمع ذريعة وهي الوسيلة.

الحثوم: على وزن فعول، جمع حثمة وهي الربوة، وقد يكون اسم موضع.

تسري الصبا فتبيتُ في ألوازه وبيت فيه مع الشمال نسيم^(٨٢)
سُقياً لظلك بالعشي وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم^(٨٣)
لو كنتُ أملك منع مائك لم يذق ما في فلاتك ما حيتُ لثيم

(٨٢) الصبا: ريح.

ألوازه: جمع لوزة وهي ثمر شجر ينمو في المناطق المعتدلة.
(٨٣) سقياً لظلك: دعاء له بأن يكون دائم السقيا، حميم: ساخنة.

[عفا الله عن ليلى]

وقيل : خرج رجل يريد سفراً فبينما هو يمر بين سباسب وآكام إذ رأى رجلاً نحيل الجسم كأضواء ما يكون من الرجال ، وهو على شفير بئر ، قال : فدنوت منه ، فإذا هو يقول :

عفا الله عن ليلى وإن سفكت دمي
عليها ، ولا مبدٍ لليلى شكايه
يقولون تب عن ذكر ليلى وجهها
وقال أيضاً :

فيا قلبُ مُتَ حزناً ولاتكُ جازعاً
هَوَيْتُ فتاةً كالغزالة وجهها
ولي كبدٌ حَرٌّ وقلبٌ معذبٌ
وآيةٌ وجدِ الصبِّ تهطال دمه
على ما انطوى مِنْ وجده في ضميره
فيا ليت أن الدهر جاد برجعةٍ
إليك فعزَّ النفس واستشعر الأسى
وقد شسعت ليلى وشطَّ مزارها
فيا أسفا حَتَامَ قلبي معذبٌ
ثم رجعت فتركته ومضيت عنه .

فإن جزوع القوم ليس بخالدٍ
وكالشمس يسي دُلها كلَّ عابدٍ
ودمعٌ حثيثٌ في الهوى غيرُ جامدٍ
ودمعٌ شجي الصبِّ أعدل شاهدٍ
على الأنسات الناعمات الخرائد^(٨٤)
وهيهات ، إنَّ الدهر ليس بعائدٍ
فحبك يُنمي زائداً غيرَ بائدٍ
وغيرها عن عهداً قولُ حاسدٍ
إلى الله أشكو طولَ هذِي الشدائدِ

(٨٤) الخرائد : جمع خريدة وهي العذراء .

[مودة الحبيب]

وعن رجل من بني عاهر قال : لقيت المجنون عند قفوله عن البيت الحرام ، فقلت له : ويحك استشعر الصبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب ، واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك الشنعة ، فإن التهتك يقطع مواد الغبطة . وليس للمهتوك ألفة ، والمستور طويل مدة الغبطة . فكان من جوابه أن قال :

يا ليت من جهل الصبابة ذاقها	إن الغواني قتلت عشاقها
ما من لسن بواجذ ترياقها	في صدغهن عقارب يلسعنا
كالخيرزانة لا نمل عناقها	إن الشقاء عناق كل خريدة
من عاجة حكّت الثدي حقاها ^(٨٥)	يضرّ تشبه بالحقاق ثديها
يُكسّن من حُلل الحرير رقاها	يُدمي الحرير جلودهن وإنما
إني أحب من الخصور دقاها	زانت روادفها دقاق خصورها
ما كنت زائرهما ولا طراقها	إن التي طرق الرجال خيالها

وقال أيضاً :

فقلت لهم فإني لا أشاء	وقالوا لو تشاء سلوت عنها
كما علقت بأرشية دلاء ^(٨٦)	وكيف وحبها علق بقلبي
فليس له وإن زجر انتهاء	لها حبّ تنشأ في فؤادي
وفي زجر العواذل لي بلاء	وعاذلة تقطعني ملاماً

قال : فأقسمت عليه أن ينشدني أحسن ما قاله في وصف المحاجر والأطراف والبشر والجلد ، فقال :

· (٨٥) الحقاق : جمع حَقّ وهي الأنية الصغيرة .

(٨٦) الأرشية : جمع رشاء ، وهو الحبل .

والدلاء : جمع دلو .

ليالي أصبو بالعشي وبالضحى
 مُنعمَة الأطراف هيف بطونها
 وأعناقها أعناق غُزلان رمل
 وأثلاثها السفلي برادي ساحل
 وأثلاثها العليا كأن فروعها
 وترمي فتصطاد القلوب عيونها
 زرعن الهوى في القلب ثم سقينه
 رعابيب ما صدن القلوب وإنما
 فقيم دماء العاشقين مُطلّة
 ويقتلن أبناء الصبابة عنوة

إلى خردٍ ليست بسودٍ ولا عَصَلٍ (٨٧)
 كواعبُ تمشي مشية الخيل في الوحل
 وأعينها من أعين البقر النجل
 وأثلاثها الوسطى كثيبٌ من الرمل (٨٨)
 عناقيدُ تُغذى بالدهان وبالعسل
 وأطرافها ما تُحسن الرمي بالنبل
 صبايات ماء الشوق بالأعين النجل
 هي النبل ريشت بالفتور وبالكحل (٨٩)
 بلا قودٍ عند الحماة ولا عقل (٩٠)
 أما في الهوى يارب من حكمٍ عدل!

(٨٧) خرد: عذراء.

سود: يغلب عليها السواد.

عصل: غير واضحة الرؤية.

(٨٨) برادي: قد يكون نبات البردي الذي ينمو على ضفاف الأنهار، ويصنع منه الحصر، وكان قدماء المصريين يصنعون منه الورق.

(٨٩) رعابيب: على وزن فعاليل، وهي جمع (رعيب) على وزن (فعليل) بمعنى خائف أو مرتعد.

ريشت: حليت بريش مثل السهم، وكان المحاربون قديماً يحفظون توازن السهم بريشة أو بريش وكثيراً ما ذكر ذلك في شعر الفروسية.

الفتور: الوهن أو الضعف وتأتي في البيت بمعنى الخجل.

(٩٠) القود: بفتحيتين هو القصاص.

عقل: دية.

[العلوي يقول:]

● وقال أبو الحسن العلوي : سألتُ الوالي عن أحسن شيء قاله المجنون في العفة ، فأشدني :

ألا يا شفاء النفس لو يُسَعَفُ النوى ونجوى فؤادي لا تُباح سرائره
أثيبي فتى حَقَّقَ قولَ عدوِّه عليه وقلَّتْ في الصديق معاذره
أحبك يا ليلي على غير ريبه وما خيرُ حبٍّ لا تُعْفُ ضمائره
وأنشد :

يجيشون في ليلي عليّ ولم أنل مع العذل من ليلي حراماً ولا حلاً
سوى أن حباً لو تشاء أفلها ولو تبتغي ظلاً لكان لها ظلاً
ألا حبذا أطلالُ ليلي على البلا وما بذلت لي من نوالٍ وإن قلاً
فما يتمادى العهد إلا تجددت مودتها عندي وإن زعمت أن لا

[يا غراب البين]

وقال بعضهم : بينما المجنون ذات يوم جالس إذ مر به غراب ، فأنشأ يقول :

ألا يا غراب البين إن كنت هابطاً بلاداً لليلي فالتمس أن تكلمنا
وبلِّغ تحياتي إليها وصّبوتي وكن بعدها عن سائر الناس أعجمنا

[البرق يلوح]

وقال: بينما المجنون ذات يوم في خطرات جنونه وحيرته لا يدري أين يتوجه إذ برق^(٩١) له فوق ساعة ثم قال:

ألا لا أحب السيرَ إلا مصعُداً
على مثل ليلَى يقتل المرء نفسه
إذا ما تمنى الناس رَوْحاً وراحةً
أرى سَقما في الجسم أصبح ثاوياً
ونادى منادِي الحبِّ أين أسيرُنا؟
حملتُ فؤادي إن تعلق حبها
وقال أيضاً:

لقد طرقتني أمٌ خشفٍ وإنها
أقام فريقٌ من أناسٍ بودهم
بحاجة مخزونٍ كثيبٍ فؤداه
تحيلن أن هبت لهن عشيّة
فيا كبداً أخشى عليها وإنها
كأن فضولَ الرقم حين جعلتها

إذا صرع القومَ الكرى لَطروق^(٩٢)
بذات الشرى عندي وبانَ فريق^(٩٣)
رهينُ بيضاتِ الحجالِ صديق^(٩٤)
جنوبٌ وإن لاحت لهن بروق^(٩٥)
مخافة هضبات اللوى لحَفوق
غدياً على أدمِ الجمالِ عُذوق^(٩٦)

(٩١) ظهر وبان .

(٩٢) طرقتني : زارتي أو تذكرتها ليلاً .

الخشف : ولد الغزال .

الكري : النوم .

(٩٣) ذات الشرى : اسم موضع .

(٩٤) رهين : متعلق أو أسير .

الحجال : الخلاخيل .

(٩٥) جنوب : ريح الجنوب .

(٩٦) فضول الرقم : ما تبقى من الكتابة وآثارها .

الآدم : بفتحيتين وضميتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ .

وفيهن من نُجِّلِ النساء بحلة
جباناً فأما الدَّعْص من أخرياتها
وقال أيضاً:

أقول لقمقام بن زيد ألا ترى
فإن تَبَكِّ للبرق الذي هيج الهوى
سقى الله حياً بين ضارة والحمى
أمينُ بوادي الله مَنْ كان مِنْهُمْ

تَكَادَ عَلَى غُرِّ السحاب تروق
فَوَعَتْ وَأما خَصَرُها فدقيق (٩٨)

سَنَا البرق يبدو للعيون النواظرِ
أَعْنَكَ وَإِنْ تَصْبِرْ فَلَسْتُ بِصَابِرِ
جَمَى الرشف صوبَ المدجناتِ الماطرِ (٩٩)
إليهم ووقاهم صروف المقادرِ

(٩٧) غر السحاب: السحاب الأبيض.
تروق: تصفو.

(٩٨) الدعص: الرمل أو الكتيب المجتمع.
وعت: رمل دقيق ناعم تغوص فيه القدم.

(٩٩) ضارة والحمى: اسمان لموضعين

المدجنات: السحاب الممطر.

الرشف: اسم موضع.

[ماشق ذو صباية]

وقيل : إنه مر ذات يوم بدوحة مديدة الظل باسقة الأغصان وريقة الأفنان في يوم
 غليل شديد القيظ فاستند إلى ساقها واستظل بظلها وقد خامرته الهموم وعلاه الجنون،
 فرقدت عيناه فما انتبه إلا بصفير طائر على الشجرة فانتبه فزعاً مرعوباً، فأنشأ يقول :
 لقد هتفت في جنح ليل حمامة
 فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنني
 أأزعمُ أنني عاشقُ ذو صباية
 كذبتُ وبيت الله لو كنت عاشقاً
 وقال أيضاً :

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جث
 فويلي على العذال ما يتركوني
 يقولون لو عزيت قلبك لأرعى^(١٠٠)
 دعاني الهوى والشوق لما ترنمت
 تجاوب ورقاً قد أصغخ لصوتها
 فقلت حمام الأيك مالك باكياً
 تُذكرني ليلي على بعد دارها
 وقد رابني أن الصبا لا تُجيبني
 سبي القلب إلا أن فيه تجلداً
 فكلّم غزال الماتحين فإنه
 فلو أن ما بيني بالحصا فلق الحصا

(١٠٠) ارعى : انتهى وامتنع .

(١٠١) الماتحين : جبل .

ذَكَرْتُكَ لَمْ تُكْتُبْ عَلَيَّ ذَنْبٍ
عَنِ الْعَهْدِ مِنْكُمْ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

وَلَوْ أَنَّنِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّمَا
فَدَّوْمِي عَلَى عَهْدٍ فَلَسْتُ بِزَائِلٍ
وَقَالَ أَيْضًا:

وَتَبِعْتُ أَحْزَانِي الصَّبَا وَنَسِيمَهَا
وَتَأْوِي إِلَى نَفْسٍ كَثِيرٍ هَمُومُهَا
يَدُّ ذَاتِ أَظْفَارٍ فَأَدَمْتُ كُلَّوْمَهَا

أَمُوتَ إِذَا شَطَطَتْ وَأَحْيَا إِذَا دَنَتْ
فَمَنْ أَجَلَ لَيْلَى تُوَلِّعُ الْعَيْنُ بِالْبُكََا
كَأَنَّ الْحَشَا مِنْ تَحْتِهِ عُلِقَتْ بِهِ

[يا موقد النار]

قيل : إن المجنون صحب يوماً أصحاب إبل^(١٠٢) واستروح بهم فزلوا منزلاً لم يجدوا لإبلهم فيه ماء قد أجهدهم الكلال، فباتوا ليلتهم، فلما نور الصباح قدح أحدهم ناراً فكلما التهبت أطفأتها الريح والمطر، فلما طال ذلك عليهم أنشأ المجنون يقول :

يا موقد النار يذكها ويخمدها قمر الشتاء بأرياح وأمطار
قم فاضطل النار من قلبي مضرة فالشوق يهرمها يا موقد النار
ويا أخا الذود قد طال الظماء بها لم تدري ما الري من جذب وإقتار^(١٠٣)
رد المطي على عيني ومحجرها تروي المطي بدمع مسيل جار
يا مزعج البين إن جد الرحيل فلا كان الرحيل فإني غير صبار

وقال :

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصلا
فإن لهيب النار بين جوانحي
فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي
فقالوا وأين النهر قلت مدامعي
فقالوا ولم هذا فقلت من الهوى
ألم تعرفوا وجهاً لليلي شعاعه
يمر بوهمي خاطر فيؤدها
منعمة لوقابل البدر وجهها
هلالية الأعلى مطلقه الذرا

تعالوا اصطلوا إن خفتم القر من صدري
إذا دكرت ليلي أحر من الجمر
فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
سيغنيكم دمع الجفون عن الحفر
فقالوا لحاك الله قلت اسمعوا عذري
إذا برزت يغني عن الشمس والبدر
ويجرحها دون العيان لها فكري
لكان له فضل مبين على البدر
مرجرجة السفلى مهفهفة الخصر^(١٠٤)

(١٠٢) من الممكن أن يكون نوام الرعاة .

(١٠٣) إقتار : قلة الماء .

(١٠٤) مطلقه على وزن مفعلة ، من الطلخ : هو ما يبقى في قاع الحوض ، ويكون اسود اللون ، والمقصود أنها

سوداء الشعر .

الذرا : الرأس أو الشعر .

مَبْتَلَةٌ هَيْفَاءٌ مَهْضُومَةٌ الْحَشَا
 مُدْمَلَجَةٌ السَّاقِينَ بَضٌّ بَضِيضَةٌ
 فَقَالُوا أَمْجَنُونَ فَقُلْتُ مُوسُوسُ
 فَلَا مَلِكَ الْمَوْتِ الْمَرِيخُ يَرِيحُنِي
 وَصَاحَتْ بَوْشَكَ الْبَيْنِ مِنْهَا حَمَامَةٌ
 عَلَى دَوْحَةٍ يَسْتَنُّ تَحْتَ أَصُولِهَا
 مَطْوَقَةٌ طَوْقًا تَرَى فِي خُطَامِهَا
 أَرَنْتَ بِنَا عَلَى الصَّوْتِ مِنْهَا فَهَيْجَتْ
 فَقُلْتُ لَهَا عَوْدِي فَلَمَّا تَرْنَمْتُ
 كَانَ فَوَادِي حِينَ جَدُّ مَسِيرُهَا
 فَوَدَّعْتُهَا وَالنَّارُ تَقْدَحُ فِي الْحَشَا
 وَرَحْتُ كَأَنِّي يَوْمَ رَاحَتْ جَمَالُهُمْ
 أَبَيْتُ صَزِيعَ الْحُبِّ مَدْمُومِي مِنَ الْهُوَى

مُورَدَةُ الْخَدَّيْنِ وَاضِحَةُ الثَّغْرِ (١٠٥)
 مَفْلَجَةُ الْأَنْيَابِ مَصْقُولَةُ الْخَمْرِ (١٠٦)
 أَطُوفُ بِظَهْرِ الْيَدِ قَفْرًا إِلَى قَفْرِ
 وَلَا أَنَا ذُو عَيْشٍ وَلَا أَنَا ذُو صَبْرٍ
 تَغْنَتْ بَلِيلٌ فِي ذُرَى نَاعِمٍ نَضِرٍ
 نَوَاقِعُ مَاءٍ مَدَّةً رَصَفُ الصَّخْرِ (١٠٧)
 أَصُولُ سَوَادٍ مَطْمُنٌ عَلَى النَّحْرِ (١٠٨)
 فَوَادٍ مُعْنَى بِالْمَلِيحَةِ لَوْ تَدْرِي
 تَبَادَرَتِ الْعَيْنَانِ سَحًّا عَلَى الصَّدْرِ (١٠٩)
 جَنَاحُ غَرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى الْوَكْرِ
 وَتَوَدَّعْتُهَا عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
 سَقَيْتُ دَمَ الْحَيَاةِ حِينَ انْقَضَى عَمْرِي
 وَأَصْبَحَ مَنْزُوعُ الْفَوَادِ مِنَ الصَّبْرِ

= مرجحة: كثيرة الاهتزاز.

مهفهفة: ضامرة نحيلة.

(١٠٥) مبتلة: من بتل الشيء إذا أبانه من غيرة، والمعنى أنها ظاهرة بارزة.

هيفاء: طويلة.

موردة الخدين: أخذها بلون النور.

مهضومة الحشا: ليس لها بطن بارز.

(١٠٦) مدملجة الساقين: ممتلئة الساقين.

بضة بضيضة: بيضاء.

مفلجة الأنياب: الفلج في الأسنان هو التباعد بينها ويعتبر من علامات جمال المرأة.

الخمر: الخمار.

مصقولة: سميكة.

(١٠٧) يستن: يرمى العشب.

مدَّة: أي أمدّه بماء.

رضق الصخر: الصخور المحماة المشتعلة.

(١٠٨) مطوقة: أي عليها طوق.

خطامها: الخطام هو زمام الفرس أو أثر الطوق هنا.

(١٠٩) تغنت.

رمتني يدُ الأيام عن قوسِ غِرَّةٍ
بسهمين مسمومين من رأسِ شاهقٍ
مُنَايَ دَعِينِي فِي الْهَوَى مُتَعَلِّقاً
فلو كنتِ ماءً كنتِ من ماءِ مِزْنَةٍ
ولو كنتِ لَيْلاً كنتِ لَيْلاً تَوَاصِلُ
عليك سلام الله يا غَايَةَ الْمُنَى

بسهمين في أعشارِ قلبي وفي سحري
فغودرتُ محمِراً الترائب والنحو
فقد مِتُّ إِلَّا أَنِّي لَمْ يُزَرَ قَبْرِي
ولو كنتِ نَوْمًا كنتِ مِنْ غَفْوَةِ النَّجْرِ
ولو كنتِ نَجْمًا كنتِ بَدْرَ الدَّجَى يَسْرِي
وقاتلتني حتى الْقِيَامَةِ وَالْحَشَرَ

[طير يتحلق]

قال: ونظر ذات يوم إلى طير يتحلق في جو السماء فأتبعه بصره^(١١٠) وأنشأ يقول:

ألا أيها الطير المحلق غاديا تحمّل سلامي لا تدّرني مناديا
تحمّل هَداك الله مِنِّي رسالةً إلى بلدٍ إن كنتَ بالأرض هاديا
إلى قفرةٍ من نحو ليلَى مُضِلَّةٍ بها القلبُ مِنِّي موثّق وفؤاديا
ألا ليت يوماً حلَّ بي من فراقكم تزودتُ ذاك اليوم آخر زاديا

[جبل الثوبان]

قال موسى بن جعفر: خرج المجنون لما أصابه ما أصابه حتى أتى الشام فسأل عن أرض بني عامر، فقيل وأين أنت من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا، فرجع إلى أرض بني عامر ووقف عند جبل يقال له ثوبان فقال:

وأجهشتُ للثوبان حين رأيته وهلّل للرحمن حين رأيته
وأذريتُ دمعَ العين لما رأيته ونادى بأعلى صوته ودّعاني
فقلتُ له أين الذين عهدتهم حواليك في خصبٍ وطيب زمان؟
فقال مَضَوْ راسْتودعوني بلادهم ومَن ذا الذي يبقى مع الحدثان
وإني لأبكي اليوم من حَذري غداً فراقك والحيان مؤتلفان
سَجَلاً وهَتَاناً ووبلاً وديمَةً وسَحاً وتسجاماً إلى هَمَلانٍ^(١١١)

(١١٠) نظر إليه وتأمله.

(١١١) سَجَلاً: أي كماء السجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء.

الهتان: المطر المنقطع.

الوبل: المطر المتواصل.

ديمّة: مطر دائم.

سحاً: يقال للمطر والدموع إذا سالت بكثرة.

تسجاماً: من سجم الدمع إذا سال.

هملان: من هملت عيناه إذا فاضت من كثرة البكاء.

[الواشون]

قال الوالبي : دُكر أن أباه الملوّح وإخوته ساروا إلى الصحراء ليأخذوه ويردوه إلى الحي^(١١٢) وأهل بيته ، وذلك بعد ما نحل جسمه واسود وجهه وجف جلده على عظامه ، فلما وردوا عليه لقوه قاعداً على تل من رمل وهو يخط بأصبعه ، فلما دنوا منه نفر ، فناداه أبوه : يا قيس ! أنا أبوك الملوّح وهذا أخوك ، فطب نفساً وأبشر فقد وعدني أن يزوجهك ويردك من نفارك وينزل عند حكمك ورضاك . فأقبل إليهم وأنس بهم ، فقال له أبوه : يا قيس أما تتقي الله وتراقبه ! كم تطيع هواك وتعصيني ، فقد كنت أرجى ولدي ، أفضلك عليهم وأوثرك ، فأخلفت ظني ولم تحقق أمني ، فليت شعري ما أراها ممن يوصف بالجمال والحسن ، وقد بلغني أنها فوهاء^(١١٣) قصيرة جاحظة العينين شهلة^(١١٤) سمجة ، فعد عن ذكرها ولك في قومك من هي خير لك منها . فلما سمع ثلثه فيها أنشأ يقول :

يقول لي الواشون ليلي قصيرة	فليت ذراعاً عرض ليلي وطولها
وإن بعينيها لعمرك شهلة	فقلت كرام الطير شهل عيونها
وجاحظة فوهاء لا بأس إنها	منى كبدي بل كل نفسي وسولها ^(١١٥)
فدق صلاب الصخر رأسك سرمداً	فلاني إلى خين الممات خليلها

فلما سمعوا هذه الأبيات تركوه وانصرفوا قانطين ، فبينا هو ذات يوم نائم إذ مر به رجل فقال :

ألا إن ليلي بالعراق مريضة * وأنت خلي البال تلهو وترقد
فلو كنت يا مجنون تُضنى من الهوى لبت كما بات السليم المسهد

(١١٢) مكان أهله .

(١١٣) فوهاء : واسعة الفم قيحة .

(١١٤) شهلة : شهل العين ، أن يشوب سوادها زرقة وهو من علامات القبح .

(١١٥) جاحظة : بارزة العينين .

سولها : غففة سولها أي كل ماتسالة .

فخرُ المجنون مغشياً عليه لما سمع ذلك فلما أفاق أنشأ يقول :

يقولون ليلى بالعراق مريضة	فمالك لا تَظُنِّي وأنت صديقُ
سقى الله مَرَضِي بالعراق فإنني	علي كلِّ مَرَضِي بالعراق شقيق
فإن تَكُ ليلى بالعراق مريضةً	فإنِّي في بحر الحتوف غريق
أهيم بأقطار البلاد وعَرَضُها	وما لي إلى ليلى الغداة طريق
كأن فؤادي فيه مُورٍ بقادحٍ	وفيه لهيبٌ ساطعٌ وبروق ^(١١٦)
إذا ذكرتها النفسُ ماتت صَبَابَةً	لها زفرةٌ قتالةٌ وشهيق
سقتني شمسٌ يخجل البدرَ نورُها	ويكسِفُ ضوء البرق وهو بَروق
عَرابيةُ الفرعين بدريّة السنا	ومنظرها بادي الجمال أنيق ^(١١٧)
وقد صِرْتُ مجنوناً من الحب هائماً	كأنِّي عانٍ في القيود وثيق
أظل ذريحُ العقل ما أطعمُ الكَرَى	وللقلبِ مني أنَّةٌ وخُفوق ^(١١٨)
برى حبها جسمي وقلبي ومهجتي	فلم يَبَقَ الا أعظمٌ وعروق
فلا تعذلوني إن هلكتُ تَرَحَّمُوا	عليَ ففقدُ الروح ليس يعوق
وخطُّوا على قبري إذا مِتُّ واكتبوا	قتيلُ لحاظٍ مات وهو عَشيق
إلى الله أشكو ما أَلَاقي من الهوى	بليل فني قلبي جوى وحريق

(١١٦) مور: متقد.

(١١٧) عرابية: نسبة إلى قبيلة أو إلى العرب.

الفرعين: أي من جهة الأب والأم أو كناية عن صفتي الشعر.
السنا: الضوء الشديد.

(١١٨) قرأتها في نسخة للديوان «رزيح العقل»، بمعنى ضعيف العقل.
والذرايح جمعها، وهو نوع من السموم والمعنى يكون: مريض العقل مسمماً بالأفكار.

[شبه ليلي]

وقال أيضاً:

أقول لظبي مَرَّ بي وهو راتعُ وأنت أخو ليلي فقال يُقالُ
أيا شبه ليلي إن ليلي مريضة وأنت صحيحٌ إنَّ ذا لمحالُ

وقال أيضاً:

يقولون ليلي بالعراق مريضةً فأقبلتُ من مصرٍ إليها أعودُها
فوالله ما أدري إذا أنا جئتها أبرئها من دائها أم أزيدُها

[لا تتمكموا]

وروي أن رهطاً^(١١٩) من بني أسد خرجوا إلى بلاد الشام في بعض تجارتهم فعثروا^(١٢٠) بالمجنون فقالوا: يا قيس ما منع أبا ليلى أن يتلافى أمرك ويتداركه إلا أن قد صار مشهوراً في الأمصار ذكر ما دار بينكما من الرفث والفسوق، فهلا كفتت نفسك عن المعاصي وزجرتها عن القذع والأمور الفظيعة حتى يدوم لك صفاء المودة وغضارة النعمة خالياً عما أنت بصده؟ فلما سمع مقالتهم بكى بكاء متوجع وأنشأ يقول:

ألا أيها القوم الذين وَشَوْا بنا
ألا ينهكم عنا تُقاكم فتتھوا
تعالوا نقف صفين منّا ومنكم
على من يقول الزور أو يطلب الخنا
حلفت بمن صلت قريش وجمرت
وما خلقوا من رأس كلّ ملبّ
لقد أصبحت مني حصاناً بريئة
من الخفّرات البيض لم تدري ما الخنا
ولا سمعوا من سائر الناس مثلها

على غير ما تقوى الإله ولا برّ
أم أنتم أناس قد جُبلتم على الكفر
وندعو إله الناس في وضح الفجر
ومن يقذف الخود الحصان ولا يدري^(١٢١)
له بمنى يوم الإفاضة والنحر^(١٢٢)
صبيحة عشر. قد مضين من الشهر
مُطهرة ليلي من الفحش والنكر
ولم تُلف يوماً بعد هجعتها تسري^(١٢٣)
ولا برزت في يوم أضحي ولا فطر

(١١٩) جماعة.

(١٢٠) وجدوا المجنون.

(١٢١) الخنا: الفحش.

يقذف: يتهم بالزنا.

الخود الحصان: العذارى الشريفات.

(١٢٢) جمرت: أي رمت الجمار.

الإفاضة: الإفاضة من عرفات.

النحر: من شعائر الحج.

كلّ ملبّ: في رواية الوالي كسري وزن البيت.

(١٢٣) الفحش: الفحش والزنا.

تسري: أي تسلل ليلاً لتلقى عشيقها.

بَرَهْرَهَةٌ كَالشَّمْسِ فِي يَوْمِ صَحْوِهَا
هِيَ الْبَدْرُ حُسْنًا وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ
يَقُولُونَ مَجْنُونٌ يَهِيمُ بِذِكْرِهَا
إِذَا مَا قَرَضْتُ الشَّعْرَ فِي غَيْرِ ذِكْرِهَا
فَلَا نَعْمَتٌ بَعْدِي وَلَا عَشْتُ بَعْدَهَا
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي صَبَابَةٍ
لِيَالِيٍّ أَعْطِيَتْ الْبَطَالََةَ مِقْوَدِي
مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أُخِيرَ بَيْنَهُ
لَقُلْتُ ذَرُونِي سَاعَةً وَكَلَامَهَا

مَنْعَمَةٌ لَمْ تَخْطُ شَبْرًا مِنَ الْخَدْرِ (١٢٤)
فَشْتَانُ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالْبَدْرِ
وَوَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جَنُونٍ وَلَا سِحْرِ
أَبَى وَأَبَيْكُمْ أَنْ يَطَاوَعَنِي شَعْرِي
وَدَامَتْ لَنَا الدُّنْيَا إِلَى مَلْتَقَى الْحَشْرِ
وَصَبٌّ مُعْنَى بِالْوَسَاوِسِ وَالْفَكْرِ
تَمَرُ اللَّيَالِي وَالسَّنُونُ وَلَا أَدْرِي
وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِدًا أَبَدَ الدَّهْرِ
عَلَى غَفْلَةِ الْوَاشِينَ ثُمَّ اقْطَعُوا عَمْرِي

(١٢٤) برهرة: البرهرة المرأة البيضاء الشابة الناعمة الملمس.
الخدر: الخيمة.

[يا عقاب الوكر]

ثم جعل يدور هائماً قد اشتد وسواسه وجنونه إذ مر بعقاب ساقط على وكره، فدنا منه وأنشأ يقول:

ألا يا عقابَ الوكر وكر ضريّة
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً
أبيني لنا قد طال ما قد تركتنا
وقفت على مرّان أنشد ناقتي
وما أنشد البعران إلا صباية
مفلّجة الأنياب لو أن ريقها
إذا ذكرت ليلى أسر بذكرها
فقال جميع الناس لما نشدتها
تداويت من ليلى بليلى عن الهوى
ألا زعمت ليلى بأن لا أحبها
بلى والذي لا يعلم الغيب غيره
بلى والذي نادى من الطور عبده
لقد فضلت ليلى على الناس مثل ما

سقيت الغواصي من عقاب على وكر
ولا زلت في صيد مخضبة الظفر
بعمياء لا ندري أنصبح أم نسري
وما هلك لي من قلوص ولا بكر (١٢٥)
بواضحة الخدين طيبة النشر (١٢٦)
يداوى به الموق لقاموا من القبر (١٢٧)
كما انتفض العصفور من بلل القطر
بلى، وفريق قال والله وما ندري
كما يتداوى شارب الخمر بالخمير
بلى وليالي العشر والشفع والوتر
بقدرته تجري السفائن في البحر
وعظم أيام الذبيحة والنحر
على ألف شهر فضلت ليلة القدر

(١٢٥) مرّان: جبل.

قلوص: ناقة، بكر، من الإبل.

(١٢٦) البعران: البعير يشمل الجمل والناقة.

صباية: غراماً بصاحبها.

النشر: الرائحة الزكية.

(١٢٧) مفلجة الأنياب: متباعدة ما بين الأسنان وهو من علامات الحسن.

[صبراً]

وقال:

فوالله ما أبكي على يوم مَيَّتي ولكنني من وشك بينك أجزع
فصبراً لأمر الله إن حان يَوْمنا فليس لأمرِ حمُّه الله مَدفع

[أبيات ونغمات]

قال علي بن صالح :

حججت مع أبي عيسى بن الرشيد، فبينما نسري ليلاً إذ نحن بأعرابي يترنم بأبيات
ما سمعت والله أحسن منها، ونغمات ما كدت أسمع مثلها، وهي :

ألا هل إلى شَمِّ الخزامى ونظرةٍ	إلى قرقرى قبل الممات سبيلُ ^(١٢٨)
فأشرب من ماء الحجيلاء شربة	يُداوى بها قبل الممات عليلُ ^(١٢٩)
فيا أثلاتِ القاع قد ملَّ صحبتي	مسيرى فهل في ظلكنَّ مَقِيلُ ^(١٣٠)
ويا أثلاتِ القاع ظاهرُ ما بدا	بجسمي على ما في الفؤاد دليلُ
ويا أثلاتِ القاع من بين توضح	حنيني إلى أفيائكنَّ طويلُ ^(١٣١)
ويا أثلاتِ القاع قلبي موكلُ	بكنَّ وجدوى خيركنَّ قليلُ
أرومُ انحداراً نحوها فيردُّني	ويمنعني دينٌ عليّ ثَقِيلُ
أحدثُ عنك النفس إذ لست راجعا	إليك فحزني في الفؤاد دخیلُ

وقال :

أحجَّاجَ بيت الله في أي هودجٍ	وفي أيِّ خدرٍ من خدروكم قلبي
أأبقى أسيرَ الحب في أرض غربةٍ	وحاديكم يحدو بقلبي في الركب

وقال :

(١٢٨) الخزامى : نبت طيب الرائحة، والتبخر به يذهب كل رائحة منتنة، وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد.

قرقرى : اسم موضع.

(١٢٩) ماء الحجيلاء : الماء الذي لاتصيبه الشمس.

ومغترب بالمرج يبكي بشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنفس يستشفى برائحة الركب

فقال أبو عيسى: عليّ بالرجل، فتفرقت الخيل في طلبه يمنة ويسرة، فما كان إلا
هنيهة حتى أتني برجل ضئيل الجسم ناحل البدن عريان، فقال له: من أنت لأملك الهبل؟
فوالله ما تنهنه أن قال أسرع من مخرج نفسه وارتداد طرفه:

أنا الواق المشغوف والله ناصري ومتقمي ممن يجور ويظلم
أنا الناحل المهموم والقائم الذي أراعي الثريا والخليون نؤم
أظلم بحزن دائم وتحسّر وأشرب كأساً فيه سمّ وعلقم
فحسام يا ليلي فؤادي معذب بروحي تقضي ما تحب وتحكم
لعمري ما لاقى جميل بن معمر كسوجدي بليلي لا ولم يلق مُسلم
ولم يلق قابوس وقيس رعوقة ولم يلقه قبلي فصيح وأعجم
صبا يوسف واستشعر الحب قلبه ولا كاد داود من الحب يسلم
وبشر وهند ثم سعد وواق وتوبة أضناه الهوى المتقسم
وهاروت لاقى من جوى الحب سطوة وماروت فاجاه البلاء المصمم
ولم يخل منه المصطفى سيد الوري أبو القاسم الزاكي النبي المكرم
أبيت صريع الحب أبكي من الهوى ودمعي على خدي يفيض ويسجم
ولولا طروق الليل أودت بنفسه منعمة اللحظين تُبْري وتُسقم (١٣٢)
إذا هي زادت في الثوى زاد في الهوى فلا قلبه يسلو ولا هي ترحم
أعارته أنفاس الصبا بك صبوة لها بين جنبيه سعيّر مضرّم
ألا إن دمع الصب عمّا يُجنّهُ وإن لم يقه يوماً به مُتكلم
لساني عبيّ في الهوى وهو ناطق ودمعي فصيح في الهوى وهو أعجم
وكيف يُطبق الصب كتمان سرّه وهل يكتم الوجد امرؤ وهو مُغرّم
عذيري من طيف أتى بعد موهن برامة جزوى عرفه يتقدّم (١٣٣)
تنفس روض جاده ماء مزنة وأطرافه تبكي الندى ثم تبسم

(١٣٢) الطروق: الزيارة ليلاً، وهي على وزن فَعول - ومنها الطارق: على وزن فاعل، وفعلها (طرق).

(١٣٣) موهن: منتصف الليل، عرفه: رائحته الطيبة.

رامة جزوى: اسم موضع.

[أبو عيسى يقول:]

قال له أبو عيسى : أما تحن إلى أكناف الحمى ويرتاح قلبك إلى أقطار نجد وبلاد ليلي؟ فزفر زفرة ثم رن بعدها وقال :

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى بشام الحمى إحدى الليالي الغوائر (١٣٤)
كأن فؤادي من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

قال علي : فوالله لقد أبكنا جميعاً، ثم أمر له أبو عيسى بأثواب شريفة ودراهم كثيرة، فقلنا أيد الله الأمير إنه لمجنون ما يلبس ثوباً إلا قدّه ورماه، فعد عنه إلى ما سواه، وسله أن ينشدك بعض أشعاره . فقلنا له : هل لك أن تروي لمولانا الأمير شيئاً من شعرك؟ فطفق يبكي ويقول :

وإني وإن لم آت ليلي وأهلها لباكٍ بكّا طفلٍ عليه التمائمُ
بكاً ليس بالنزر القليل دائماً كما الهجر من ليلي على الدهر دائم
هجرتك أياماً بذِي الغمر إنني على هجر أيام بذِي الغمر نادم
فلما مضت أيام ذِي الغمر وارتَمي بيَ الهجرُ لامتنى عليك اللوائم
وإني وذاك الهجر ما تعلمينه كعازبةٍ عن طفلها وهي رائم (١٣٥)
ألم تعلمي أنني أهيم بذكرها على حين لا يبقى على الوصل هائم
أظّل أمني النفس إياك خالياً كما يتمنى بارد الماء صائم

(١٣٤) الليالي الغوائر : الليالي السالفة .

(١٣٥) عازبة : بعيدة .

رائم : من رام .

[أيها القلب]

وقال :

أَفَقَّ عَنْ طَلَابِ الْبَيْضِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ (١٣٦)
تَمَادِيكَ فِي لَيْلِي ضَلَالٌ مُضِلُّ
وَأَنْتَ بَلِيلِي مُسْتَهَامٌ مُوَكَّلُ
إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَنْتَ بِاللُّومِ تَعْجَلُ
فَوَإِذَاكَ مَا يَعْيا بِهِ الْمُتَحَمِّلُ
فَقُلْتُ نَعَمْ حَاشَاكَ إِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ
أَبْرَ وَأَوْفَى بِالْعَهْدِ وَأَوْصَلُ
وَلَا ذَنْبَ لِي يَا لَيْلُ فَالْصَفْحُ أَجْمَلُ
وإِنْ شِئْتَ قَتَلَا إِنْ حَكَمَكَ أَعْدَلُ
وَلَيْلِي إِذَا مَا جَنَنْتِ اللَّيْلُ أَطْوَلُ
لِبَهُمِ رَعْتَ وَالذُّبُ غَرثَانُ مُرْمَلُ (١٣٧)
فَقَالَتْ مَتَى ذَا؟ قَالَ ذَا عَامٍ أَوَّلُ
فَهَاكَ فَكَلَنْتِي لَا يَهْنِيكَ مَا كُلُ
وَعَيْنَاهُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِنَ تَهْمَلُ
إِلَى الْكَفِّ مَاذَا بِالْعَصَافِيرِ تَفْعَلُ

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ الْمَعْدُلُ
أَفَقَّ قَدْ أَفَاقَ السَّوَامِقُونَ وَإِنَّمَا
سَلَا كُلُّ ذِي وَدٍّ عَنِ الْحُبِّ وَارْعَوَى
فَقَالَ فَوَإِذَا: مَا اجْتَرَرْتُ مَلَامَةً
فَعَيْنِكَ لُمَهَا إِنْ عَيْنَكَ حَمَلَتْ
لَحَى اللَّهِ مِنْ بَاعِ الْخَلِيلِ بغيره
وَقُلْتُ لَهَا يَا لَيْلُ إِنَّنِي
هَبِي أَنَّنِي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَلِمْتِهِ
فَإِنْ شِئْتَ هَاتِي نَازِعِيَنِي خُصُومَةً
نَهَارِي نَهَارٌ طَالَ حَتَّى مَلَلْتُهُ
وَكُنْتُ كَذُوبُ السُّوءِ إِذْ قَالَ مَرَّةً
أَلَسْتُ الَّتِي مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ شَتَمْتَنِي
فَقَالَتْ وَلَدْتُ الْعَامَ بَلْ رُمْتُ كَذِبَةً
وَكُنْتُ كَذْبَاحَ الْعَصَافِيرِ دَائِباً
فَلَا تَنْظُرِي لَيْلِي إِلَى الْعَيْنِ وَانْظُرِي

(١٣٦) اللجوج هو المتماذي في خصومته.

المعزَّل: المعاتب.

طلاب: طلب.

(١٣٧) ذنب السوء: الذنب اللئيم.

البهم: صغار الماعز والخراف.

غرثان: جائع.

مرمل: جائع، معدم، لا زاد له.

وقال :

أقول لصاحبي والعيسُ تهوي
تمتع من شميم عرارٍ نجدٍ
ألا يا حبذا نفحاتُ نجد
وأهلك إذ يحل الحيُّ بسداً
شهورٌ ينقضين وما شعرنا
فأما ليلهن فخيرٌ ليلٍ

وقال :

من أجل سار في دجى الليل لامع
علامَ تخاف البينَ والبينُ نافعٌ
إذا لم تنزل ممن تحب مروّعا

وقال :

سأبكي على ما فات مني صباباً
وأمنع عيني أن تلذّ بغيركم
وخير زمانٍ كنتُ أرجو دُنُوهُ
فأصبحتُ مرحوماً وكنت محسداً
ولم أرها إلا ثلاثاً على منى
تبدّت لنا كالشمس تحت غمامةٍ

(١٣٨) العيس : الإبل جمع أعيس .

تهوي : تمضي بسرعة .

المنيفة والضمار : اسمان لموضعين بالجزيرة العربية .

(١٣٩) شميم : شم .

عرار : نبت طيب الريح .

(١٤٠) ربا : اسم جبل ببلاد بني عامر .

غب : الغب في السقيا يوماً بعد يوم .

القطار : هو السحاب الممطر .

(١٤١) زار : عاتب ولائم .

(١٤٢) سرار : أي آخر ليلة من الشهر والمعنى أنه لا شعر بمرور الأشهر لا في منتصفها ولا آخر لياليها

وقال أيضاً:

أَحْنُ إِذَا رَأَيْتُ جِمْالَ قُومِي
سَقَى الْغَيْثُ الْمَجِيدُ بِلَادَ قُومِي
عَلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِ أَرْضِ نَجْدٍ
وقال أيضاً:

وَأَبْكِي إِنْ سَمِعْتَ لَهَا حَنِينًا
وَأَنْ خَلْتَ الدِّيَارَ وَإِنْ بَلِيْنَا
نَحِيَاتُ يَرْحُنَ وَيَغْتَدِينَا

وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيَسُورِ وَالْعُسْرِ ذَاكِرُهُ
بِهَجْرِي إِلَّا مَا تُجْنُ ضَمَائِرُهُ
بِلَادِي إِلَّا لَمْ أَرْضَ مِمَّنْ أَجَاوَرُهُ
وَبَاغَضْتُ مَنْ قَدْ كُنْتُ جِينًا أَعَاشِرُهُ
بِهِ الْحُبُّ وَالْإِعْدَامُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ
يُسَرُّ بِهِ بَطْنُ الْفَوَادِ وَظَاهِرُهُ
فَإِنْ مِتُّ أَضْحَى الْحُبُّ قَدْ مَاتَ آخِرُهُ
فَحَبْلُكَ مِنْ دُونِ الْحِجَابِ يَبَاشِرُهُ
وَفِيكَ الْمَنَى لَوْلَا عَدُوُّ أَحَاذِرُهُ

بِنَفْسِي مَنْ لَا بَدَّ لِي أَنْ أَهَاجِرُهُ
وَمَنْ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ بِي فَاتَّقَاهُمْ
فَمَنْ أَجْلَهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بَرَحِبَهَا
وَمِنْ أَجْلَهَا أَحْبَبْتُ مَنْ لَا يُجْنِي
أَتَهَجِّرُ بَيْتًا لِلْحَبِيبِ تَعَلَّقْتُ
وَكَيْفَ خَلَاصِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ بَعْدَمَا
وَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَانْقَضَى
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي فِي حِجَابٍ يُكْنَهُ
أَصْدُ حَيَاءٍ أَنْ يَلْجَأَ بَنَى الْهَوَى
وقال أيضاً:

هَمُّ الْمَنَى وَنَسِيتُ يَوْمَ مَعَادِي
إِلَّا وَذِكْرَكَ خَاطِرٌ بِفَوَادِي

يَا مَنْ شُغِلْتُ بِهِجْرِهِ وَوَصَالِهِ
وَاللَّهِ مَا التَفَّتِ الْجَفُونُ بِنَظَرِهِ
وقال أيضاً:

إِذَا جَمَشْتُهُ الْعَيْنُ عَادَ بِنَفْسِجَا^(١٤٣)
فَأَبْدَتْ لَنَا بِالْغَنَجِ دُرًّا مُفْلِجَا^(١٤٤)
أَدَاوِي بِهَا قَلْبِي فَقَالَتْ تَغْنِجَا

وَمَفْرُوشَةِ الْخَدَيْنِ وَرَدًّا مَضْرَجَا
شَكُوتُ إِلَيْهَا طُولَ لَيْلِي بَعْبِرَةِ
فَقُلْتُ لَهَا مَنِي عَلَيَّ بِقَبْلَةِ

(١٤٣) مضرجاً: ملطخاً بالدم - والمعنى هنا احمر اللون.

جمشته العين: غاقلته.

(١٤٤) الغنج: من تدلل النساء المثير.

وابتسامهن دراً: يقصد الأسنان.

مفلجاً: بين استانه مسافات وهو من علامات الجمال.

بُلَيْتُ بَرْدِي لَسْتُ أَطِيعُ حَمْلَهُ
وقال أيضاً:

فؤادي بين أضلاعي غريبُ
أحاطَ به البلاءُ فكلُّ يومٍ
لقد جلب البلاءُ عليَّ قلبي
وإن تكنِ القلوبُ كمثلي قلبي
وقال أيضاً:

ومستوحشٌ لم يُمس في دار غربةٍ
وقال أيضاً:

بيضاء باكرها النعيم كأنها
موسومة بالحسن ذات حواسد
وترى مدامعها ترقرق مُقلّةً
خَوْدُ إذا كثر الكلامُ تعوَّذت
وقال أيضاً:

أحنُّ إلى نجدٍ وإنِّي لآيسرُ
وإن يكُ لا ليلي ولا نجدُ فاعترف
وقال أيضاً:

ألا إنما أفنى دموعي وشفني
ومالي لا يستنفدُ الشوقُ عبرتي
إذا لم أجدُ عذراً لنفسِي ولمتها

يجاذب أعضائي إذا ما تَرَجَرَجَا

ينادي مَنْ يحبُّ فلا يجيبُ
تقارعه الصبابة والنحيبُ
فقلبي مذ علمتُ له جُلُوبُ
فلا كانتُ إذاً تلك القلوبُ

ولكنه ممن يودُّ غريب

قمرٌ توسَّطَ جنحَ ليلٍ أسود
إن الحسان مظنةٌ للحسدِ
سوداء ترغب عن سوادِ الإثمِ (١٤٥)
بحمي الحياءِ وإن تكلمُ تُقصِدِ (١٤٦)

طوالَ الليالي من قفولٍ إلى نجد
بهجرٍ إلى يوم القيامة والوعد

خروجي وتركِي مَنْ أحبَّ وراثيَا
إذا كنتِ من دارِ الأحبةِ نائيا
حملتُ على الأقدار ما كان جاريا

(١٤٥) ترقق: تناسل.

الأنم: الكحل.

(١٤٦) خود: حسنة الخلق رقيقته.

تكلم: تتكلم.

تقصد: تقتصد في الكلام.

قال: فرغ من إنشاد هذه الأشعار ظهر له غزالان في أصل جبل، فتبعهما حتى وقف بحذائهما وجعل ينظر إليهما ويبكي ويقول:

أيا جبلَ الثلج الذي في ظلاله
غزالان شَبَا في نعيم وغبطةٍ
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما
خليليّ أمّا أمّ عمرو فمَنهما
فما صاديّاتِ جِمنَ يوماً وليلة
يرزَن حَبَابَ الماءِ والموتِ دونه
بأكثَر مني حَسرةً وصبابةً
خليليّ إنّي ميتٌ أم مُكَلِّمٌ
أقلُّ حاجتي وحدي فيا رَبُّ حاجةٍ
وإنَّ أحقَّ الناسِ مني تحيةً
ومَن قادني للموتِ حتّى إذا صَفْتُ
وقال أيضاً:

أحبك حباً لو تحبين مثله
وصرتُ بقلبي عاشَ أما نهأه
أصابك من وجدٍ عليّ جنون
فحزنٌ وأما ليله فأنين

● ثم نهض من الواديين ومر على وجهه يدور في الصحراء فمر برجلين قد قنصا ظبياً وربطاه، فدنا منهما المجنون وتأمله ساعة ثم قال لهما اختارا شاةً من غنمي مكانه وخلياه، فأبيا عليه، فلم يزل بهما حتى أعطاهما أربع شياه من غنمه مكانه، ثم خلياه، فأنشأ يقول:

(١٤٧) صاديّات: عطشى، جمن: استرحن وذهب إعياءهن.

الورد: إتيان الماء.

حوان: جمع حائنة أي هالكة.

(١٤٨) حباب الماء: بالفتح أي معظم الماء وقيل نفاخاته التي تعلوه [راجع مختار الصحاح].

روان: من رنا إلى الشيء إذا دام النظر إليه.

السقاء: صوت انسكاب الماء من القربة.

(١٤٩) ذراني: اتركاني.

لأعطيتُ من مالي طريفي وتالدي
شيهياً لليلي بيعة المتزايد
ولم ترغباً في ناقصٍ غير زائد

شريتُ بشاتي شبه ليلي ولو أبوا
فلو كنتما حُرَّين ما بعتما معاً
وأعتقتماها رغبةً في ثوابها
وقال أيضاً:

في الجبلِ شبهاً لليلي ثم غلاها
مشابها أشبهتُ ليلي فحلاها
يوماً وإن طلبتُ إلهاً فدلّاهَا
من ماء مُزِنٍ قَريبٍ عند مرعاها

يا صاحبيّ اللذين اليوم قد أخذَا
إني أرى اليوم في أعطاف جبلكما
وأرشداهَا إلى خضراء معشبة
وأورداهَا غديراً لا عديمكما

● ثم أنه مر بيني عمه، وكانوا معادين له يسخرون منه ويهزؤون به ويقولون كيف ليلي وكيف حبك لها؟ فإذا ذكرت ليلي له رجع إليه عقله فيجلس إليهم يحدثهم وينشدهم ما قال فيها من الشعر. فيقولون والله ما به من جنون وإنه لعاقِل، فإذا سمع منهم هذه المقالة خنفته العبرة^(١٥٠) وأنشأ يقول:

فأصبح مذهوباً به كلّ مذهب
يضاحكني مَنْ كان يهوى تجنّبي
روائعُ قلبي مِنْ هوى متشعب
ولا الهَمُّ إلا بافتراء التكدّب
يغوصُ عليها مَنْ أراد تَعَقُّبي
برى اللحم عن أحناء عظمي ومنكبي
وهيهات كان الحب قبل التجنب
بأسفل نُهيٍ ذي عرارٍ وخُلْبٍ^(١٥١)
غضيضةً طرف رعيها وسط رَبرَبٍ^(١٥٢)

أيا ويح من أمسى يُخلّسُ عقله
خليعاً من الخلان إلا معدّباً
إذا ذُكرت ليلي عقلتُ وراجعتُ
وقالوا صحيحُ ما به طيف جنة
ولي سقطاتُ حين أغفل ذكرها
وشاهدُ وجدي دمعُ عيني وحبها
تجنبتُ ليلي أن يلجَّ بي الهوى
فما مغزَلُ أدماء بات غزالها
بأحسن من ليلي ولا أمُ فرقد

(١٥٠) الدموع.

(١٥١) مغزَل: أم الغزال.

أدماء: المائلة إلى البياض.

نُهي: غدير به ماء.

عرار: نبت طيب الريح.

خُلْب: السحاب الخادع الذي لا ماء فيه.

(١٥٢) أم فرقد: الفرقد هو ولد البقرة.

نظرتُ خلالَ الركبِ في رونقِ الضحى
إلى طُعنٍ تُحدَى كأنَّ زهاءها
ولم أرَ ليلَى غيرَ مَوقِفِ ساعةٍ
فأصبحتُ مِن ليلَى الغداةِ كناظرٍ
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالِكٍ
حلفتُ بمن أرسى ثبيراً مكانه
وما يسُلكُ المومِاةُ من كلِّ نقصةٍ
خوارجٍ من نعمانٍ أو من سُفوحه
له حِظُّهُ الأوفى إذا كان غائباً
لقد عشتُ من ليلَى زماناً أحبها
ولما رأتُ أن التفرقَ فلتةً
أشارتُ بموشومٍ كأن بَنانَه

بِعَيْنِي قَطاَمِيَّ نما فوق عُرقب^(١٥٣)
نِواءِمْ أثَلٍ أو سُقَيَاتُ أثَلٍ^(١٥٤)
بِيطْنٍ مِنى ترمي جِمارَ المَحْصَبِ^(١٥٥)
مع الصبحِ في أعقابِ نَجْمٍ مغرَبٍ
صدَّى أينما تذهبُ به الرِيحُ يذهبُ
عليه ضبابٌ مثْلُ رأسِ المَعْصَبِ^(١٥٦)
طليحٌ كجفنِ السيفِ تهْدَى لِمَرْكَبِ^(١٥٧)
إلى البيتِ. أو يَطْلَعُنْ من نجدِ كِكبِ^(١٥٨)
وإن جاءَ يبغِي نيلنا لم يؤنَّبِ
أرى الموتَ منها في مجيئِي ومذهبي
وأنا متى ما نَفتَرقَ نَتَشَعَبِ
من اللينِ هُدَّابُ الدِمْقَسِ المَهْدَبِ^(١٥٩)

= غضيضة الطرف: تغضه حياء.

ربرب: قطع من بقر الوحش.

(١٥٣) قطاَمِي: الصقر طائر من الكواسر يشبه النسر.

عرقب: الطريق الضيق.

(١٥٤) زهاءها: شبهها.

الأثَل: شجر، واحدته (أثلة).

الأثَلِب: بالفتح والكسر هو التراب أو الحجارة.

جفن السيف: غمده.

(١٥٥) المَحْصَب هو موضع الجمار بمنى المُشْرِقة.

(١٥٦) ثبير: اسم جبل.

المَعْصَب: الذي لف رأسه بعصابة.

(١٥٧) المومِاة: الصحراء.

الطليح: البعير المهزول.

(١٥٨) نعمان: اسم جبل.

ككب: منكبات.

(١٥٩) الدِمْقَس: نسيج فاخر، كالقز أو الكتان.

هداب: خيط رقيق.

موشوم: عليه وشم وهو يصف هنا يدها.

[أيا جبلي نعمان]

قال عوانة :

خرج منا رجل إلى وادي القرى مع جماعة يمتارون^(١٦٠)، فمروا على طريقهم وعثروا بالمجنون، فقالوا يا قيس نراك محباً لليلي؟ فقال نعم، قالوا أفلا تأتي جبلي نعمان؟ قال فآية ريح تهب من أرضها؟ قالوا: الصبا، فأقام بها وأنشأ يقول:

أيا جبلي نعمان بالله خلياً	سبيل الصبا يخلص إلي نسيماً
أجد بردها أو يُشفّ مني حرارةً	على كبدٍ لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت	على نفس محزونٍ تجلت همومها
ليالي أهلونا بنعمان جيرة	وإذ نحن نرضيها بدارٍ نقيمها
ألا إن أدوائني بليلى قديمة	وأقتل داء العاشقين قديمها
تذكرت وصل الناعجيات بالضحي	ولذة عيشٍ قد تولّى نعيمها
وأنت التي هيجت عيني بالبكا	فأسجم غرباًها فطال سجومها ^(١٦١)
وقد قذيت عيني بليلى وأتبعْتُ	قذاعا وقد يأتي على العين شومها ^(١٦٢)
خليلي قوما بالعصاة فاعصبا	على كبدٍ لم يبق إلا رميمها ^(١٦٣)

وقال:

(١٦٠) يمتارون: يطلبون طعاماً.

(١٦١) أسجم: أسال دمعها.

غرباًها: ماؤها الجاري.

سجومها: انسكاب دمعها.

(١٦٢) قذيت عيني: سقط فيها ما ليس منها.

القذي: ما يسقط في العين.

شومها: شؤمها وضدها يمنها أي ضررها وأذاها.

(١٦٣) العصاة: بكسر العين القطعة من القماش تلف على الجرح.

رميمها: الأجزاء المتبقية منها.

خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلَى الْأَبْرِقِ الْفَرْدِ
أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَبٌ مِنْ نَجْدِ
إِذَا هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضَّحَى
بَكَيْتُ كَمَا يَكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ أَزَلْ
وَأَصْبَحْتُ قَدْ قَضَيْتُ كُلَّ لَبَانَةٍ
إِذَا وَعَدْتُ زَادَ الْهَوَى لانتظارها
وإنَّ قَرَبْتُ دَارًا بِكَيْتُ وَإِنْ نَأْتُ
أَحْنُ إِلَى نَجْدٍ وَطِيبَ تَرَابِهِ
أَلَا حَبْذَا نَجْدٍ وَطِيبَ تَرَابِهِ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا
بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بَنَا
عَلَى أَنَّ قَرَبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ

وعهدي بليلى حبذا ذاك من عهد^(١٦٤)
فقد زادني مَسْرَاكِ وَجْدًا عَلَى وَجْدِي
عَلَى فَنِي غَضَبِ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ^(١٦٥)
جَلِيدًا وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ أَبْدِي
تَهَامِيَّةً وَاشْتَقَاقَ قَلْبِي إِلَى نَجْدِ^(١٦٦)
وإنَّ بَخَلْتُ بِالْوَعْدِ مَتَّى عَلَى الْوَعْدِ
كَلَفْتُ فَلَا لِلْقَرَبِ أَسْلُو وَلَا الْبَعْدِ
وَأُرَواحِهِ إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ^(١٦٧)
وَأُرَواحِهِ إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ
يُمْلُ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوُجْدِ
عَلَى أَنَّ قَرَبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبَعْدِ
إِذَا كَانَ مِنْ تَهَوَّاهِ لَيْسَ بِذِي وَدِ

(١٦٤) الأبرق: كتيب به حجارة، ورمل وطين مختلطة، الفرد: الوحيد.

(١٦٥) ورقاء: حمامة.

الرُّنْد: نبت طيب الرائحة ينمو في البادية العربية.

(١٦٦) لبانة: حاجة.

تهامية: نسبة إلى تهامة العربية.

(١٦٧) في نسخة أخرى من ديوان المجنون، وجدت البيت على هذا النحو:

أحسن إلى نَجْدٍ فَيَا لَيْتَ أَنَّنِي سَقَيْتَ عَلَى سُلُوَانِهِ مِنْ هَوَى نَجْدٍ

[الشوق]

ثم مضى على وجهه واشتد به الشوق فكان لا يلبس قميصاً إلا خرقه، ولا درعاً إلا مزقه. وترك محادثة الناس وصار لا يفقه شيئاً، قد اختلس لبه واختطفه الأحزان والكرب، وخامره الجنون وعلاه الأمر الفظيع، فإذا ذكرت له ليلي آب إليه عقله وأفاق من غشيته وتجلت عنه غمرته، فإذا قطع ذكرها عاد إلى وسواسه وسوء حاله، يأنس بالوحش ويستريح إليه، ويتنسم الريح من تلقاء نجد.

[أيا هجر ليلي]

قال الوالبي: ثم ولي عليهم نوفل بن مساحق، قال: فبينما نوفل في بعض طريقه إذ مر برجل عريان كأصبح ما يكون من الرجال وهو قاعد يلعب بالتراب قد جمع العظام حوله، فدنا منه فقال «والله ما رأيت أعجب من هذا الفتى، يا غلام اطرح عليه ثوباً» فقال له بعض أصحابه أتدري من هذا؟ قال لا، قالوا هذا مجنون بني عامر، قال نوفل: والله لقد كنت أحبه وأحب لقاءه فكيف لي بالدنو منه؟ قيل له إذا ذكرت له ليلي فإنه يأنس. فدنا منه نوفل وقال: أيها المشغوف إن ليلي تقرا^(١٦٨) عليك السلام. فلما ذكرها رجع إليه عقله وأقبل إليه يحدثه كأصح ما يكون من الرجال وهو يكي وينكت الأرض بأصبعه ويقول:

<p>وزدت على ما لم يكن بلغ الهجرُ فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ ويا سلوة الأيام موعداك الحشرُ وينبت في أطرافها الورق النضرُ به تُكشف البلوى ويُستزل القطرُ كما اهتز غصن البان والفرن الخضرُ ويا حبذا الأموات إن ضمك القبرُ كما انتفض العصفور بلله القطرُ زيارة ليلي أن يكون لنا الأجرُ فأبهُت لا عُرفَ لَدَيَّ ولا نكرُ وبالصخرة الصماء لأنصدع الصخرُ ولا ساغها الماء النмирُ ولا الزهرُ^(١٦٩)</p>	<p>أيا هجرَ ليلي قد بلغت بي المدى عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فيا حبها زدني جوًى كل ليلة تكاد يدي تندى إذا ما لمستها وجه له ديباجة قرشية ويهتز من تحت الثياب قوامها فيا حبذا الأحياء ما دمت فيهم وإني لتعروني لذكراك نفضة عسى إن حجبنا واعتمرنا وحرمت فما هو إلا أن أراها فجاءةً فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا ولو أن ما بي بالوحوش لما رعت</p>
--	---

(١٦٨) أي تقرئك السلام أو تقرأ عليك السلام.

(١٦٩) ساغها: حلا لها، وطاب.

النمير: الماء النقي، الصافي.

ولو أن ما بي بالبحار لما جرى
بأمواجها بحرٌ إذا زجر البحر
قال له نوفل :

الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال : اللهم نعم وسيلغ بي أكثر مما ترى، واندفع
ينشد :

أيا حُدْجَاتِ الحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا
وَحِيَمَاتِكَ اللَّاتِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُونِيَّةً شَقَّتِ الْعَصَا
فَلَوْ لَمْ يَهْجَنِي الطَّاعِنُونَ لَهَا جَنِي
تَدَاعِينَ فَاسْتَبْكِينَ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
لَعَمْرِي إِنْ يَوْمَ جِرْعَاءَ مَالِكٍ
وَمَا كَادَ قَلْبِي بَعْدَ أَيَّامٍ جَاوَزْتُ
وَأَنَّ انْهَمَالَ الدَّمْعُ يَأْلِيلُ كُلَّمَا
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً
لَعَمْرِكَ مَا شَيْءٌ سَمِعْتُ بِذِكْرِهِ
عَدِمْتُكَ مِنْ نَفْسٍ شِعَاعٍ فَإِنِّي
فَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ
يُضَعِّفُنِي حَبِيكَ حَتَّى كَأَنَّنِي
وَحَتَّى دَعَانِي النَّاسُ أَحْمَقَ مَائِقَا

بِذِي سَلَمٍ لَا جَادَكْنَ رِيْعُ^(١٧٠)
بُلَيْنَ بَلَى مَا إِنْ لَهْنٌ رُجُوعُ
هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى وَهِيَ أَمْسُ جَمِيعُ
نَوَائِحُ وَرَقٌ فِي الدِّيَارِ وَقُوعُ
نَوَائِحُ لَا تَجْرِي لَهْنُ دَمُوعُ
لِعَاصٍ لِأَمْرِ الْعَاذِلِينَ مَطِيعُ^(١٧١)
إِلَيَّ بِأَجَوَازِ الْبَدِيِّ يُرِيعُ^(١٧٢)
ذَكَرْتُكَ يَوْمًا خَالِيًا لَسَرِيعُ
كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ
كَبِينُكَ يَأْتِي بَغْتَةً فَيُرِوعُ
نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعُ^(١٧٣)
هَنَّاكَ ثَنَائِيَا مَا لَهْنٌ طُلُوعُ
مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ التَّلِيدِ نَزِيعُ
وَقَالُوا تَبُوعٌ لِلضَّلَالِ مَطِيعُ

(١٧٠) الحُدْجَاتُ : جمع حُدْج بالكسر وهو المحفة التي تركبها النساء .

ذِي سَلَمٍ : اسم لموضع .

جَادَكْنَ : أَمْطَرَكْنَ .

(١٧١) جِرْعَاءُ : رَمْلَةٌ مُسْتَوِيَةٌ لَا تَنْتَبِثُ شَيْئًا .

لَعَمْرِي : قِسْمٌ بِمَعْنَى أَقْسَمُ بِعَمْرِي .

(١٧٢) أَجَوَازُ : جَمْعُ حَزْرٍ . هَسٌ بِسُجْدٍ .

بِدِي : بِجَنِي . هَسٌ بِسُجْدٍ .

سَلَمٌ : سَلَمٌ .

(١٧٣) هَسٌ سَلَمٌ : هَسٌ فَلَقَّةٌ مُتَقَرِّبَةٌ .

جَمِيعُ : أَيُّ نَفْسٍ هَادِنَةٍ مُجْتَمِعَةٍ بِعَوَاصِرٍ وَهِيَ عَكْسُ الْأَوَّلَى .

وقال أيضاً:

خليلي هذا الربع أعلم آية
ألم تعلمما أني بذلت مودتي
سألتكما بالله لَمَا قضيتما
بجودي على ليلي بودي وبخلها
أحنُّ إليها كلما ذرَّ شارقُ
فوالله ثم الله إنني لصادقُ
كلامكِ أشهى فاعلمي لو أناله
ووالله ما أحببتُ حبك فاعلمي
لقد أكثر اللوأم فيكِ ملامتي
وقد أرسلتُ ليلي إليَّ رسولها
فجئتُ على خوفٍ وكنْتُ معوذاً
فبتُ وباتت لم نهَمَ بريبةٍ
وكيف أعزي القلب عنها تجلداً
فلو أنها تدغو الحمامَ أجابها
ولو مسحت بالكف أعمى لأذهبتُ
منعمةً تسيي الحليم بوجهها
فتلك التي مَنْ كان داءٌ دواؤه

فبالله عوجاً ساعةً ثم سلماً (١٧٤)
لليلي وأن الحبل منها تصرماً (١٧٥)
عليّ فقد وليتما الحكم فاحكما
عليّ، سلاها أيّنا كان أظلماً
كحب النصارى قدس عيسى ابن مريما
لذكركِ في قلب أجل وأعظما
إلى النفس من بُردِ الشراب على الظما
لنكرٍ ولا أحببت حبك مأثما
وكانوا لما أبدوا من اللوم ألوماً
بأن اثنتا سراً إذا الليل أظلماً
أحاذر إيقاظاً عداةً ونوماً
ولم نجتريح يا صاحِ والله محزماً
وقد أورثت في القلب داءً مكثماً
ولو كلّمت ميتاً إذاً لتكلّماً
عماء وشيكاً ثم عاد بلا عمي
تزَيْن منها عفةً وتكرّماً
وهاروت كلّ السحر منها تعلمما

● فلما أتم هذه الأبيات قال له نوفل: هل لك أن تجيء معي حتى أقدم بلادك وأخطبها لك وأرغبهم في جميع ما يحتاجون إليه؟ قال هل أنت فاعل ذلك؟ قال «نعم» والله إن خرجت معي لأجهدن ولو غرمت فيك ملكي وما حوته يدي، ثم أمر فأدخل الحمام وأمر الحمام فأخذ شعره. وغير حالته وكساه كسوة فاخرة، فلما خرج نوفل أخرج المجنون معه، فلما كان بالقرب من بلادهم بلغهم ذلك فتلقوه بالسلاح الشاكي وقالوا

(١٧٤) عوجاً: فعل أمر من عوج. والمجان إذا أقام.
(١٧٥) تصرماً: انقطع حبل. والحبل: ثناية عن نوم.

«والله لا يدخل المجنون منزلنا أبداً وقد أهدر السلطان دمه» وأقبل عليهم نوفل وأدبر فأبوا إلا المحاربة وتشمروا للمقارعة، فلما رأى نوفل ذلك قال «انصرف فإن الأمر عندهم لصعب» فانصرف المجنون عنه بخيبة، وقد كان أمر له نوفل بقلائص فردها عليه، وقال: ما وفيت لي بالعهد ثلاثاً، وأنشأ يقول:

رَأَيْتُ النِّقْصَ مِنْهُ لِلْعُيُودِ	رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقَرَشِيِّ لِمَا
إِلَى حَزْنٍ أَعَالَجَهُ شَدِيدِ	وَرَاخُوا مَقْصَرِينَ وَخَلْفُونِي
كَأَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مِنَ الْيَهُودِ	أَحَبُّ السَّبْتِ مِنْ كَلْفِي بَلِيلِي

[توحش المجنون]

وَحَدَّثْتُ عَنْ أَبِي عمرو الشيباني^(١٧٦) قال: كان سبب توحش المجنون أنه كان ذات يوم بقرية فناداه مناد وهو يقول:

كلانا يا أخِي نحب ليلي بفيّ وفيك من ليلي الترابُ
لقد خلتُ فؤادَكَ ثم باتتُ بقلبي فهو مهمومٌ مصاب
قال: فتنفس الصعداء وغشي عليه ساعة، فكان سبب توحشه هذه الأبيات.

(١٧٦) عالم اللغة والأدب وراويتها من نحاة الكوفة المشهود لهم بالعلم والثقة والدراية، توفي سنة ٢١٠ هـ، وفي رواية أخرى ٢٠٦ هـ.
وتؤكد الشواهد أن أبا بكر الوالي راوية ديوان مجنون ليلي أو بمعنى آخر جامعه ومُرتبه سمع أبا عمرو الشيباني ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري. [راجع مقدمة تحقيقنا للديوان].

[حكاية الناس]

قال أبو بكر الوالبي : لما انصرف المجنون عن نوفل بخيبة، وأبى أهلها أن يزوجه منها، مرَّ على وجهه وانصببان يصيحون «من أراد أن يرى عاشقاً سميناً فلينظر إلى هذا» فأنشأ يقول :

أرى الناس أما من تجدد وصله
تخبرني لأحلام أني أراكم
شهدت بأنني لم أخنك مودة
وأن فؤادي لا يلين إلى هوى
وقال أيضاً :

أنفسُ العاشقين للشوق مَرَضَى
عبراتُ المحب تيف تراهـا
ليس يخلو آخر أنوى أن تراه
ساكياً ساءاً حبلاً ذليلاً
وقال أيضاً :

ألا ليتنا كنا غرابين رباعي
ألا ليتنا كنا حمامي مفازة
ألا ليتنا حردنا في البحر برتمي
وإذا لم يبق حياً جميعاً ولتينا
صحيحين ثم قبراً عن الناس معزلي

رياضاً من الحوزان في بلدٍ قفر
نطير ونأوي بالعشي إلى وكر
إذا نحن أمسينا نلجج في البحر
نصير إذا متنا ضجيعين في قبر
ونقرن يوم البعث والحشر والنشر

أراعي الفرقدين مع الشريا كذاك الحب أهونه شديد^(١٧٨)
 علقت مليحة الخدين ورداً تشبه حسن مطلعها السعود^(١٧٩)
 أهيم بذكرها وأظل صَبّاً وعيني بالدموع لها تجود
 ألا ياليت لحدك كان لحدي إذا ضمت جنازنا اللحد

قال: فبينما هو ذات يوم يدور إذ أبصر سرباً من الأطباء، فأنشأ يقول:

أأترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنني إذا لصبور
 هبوني امرأ منكم أضل بعيره له ذمةٌ إن الذمام كبير
 وللمصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحبٍ من أن يضل بعير
 عفا الله عن ليلي الغداة فلإنها إذا وليت حكماً عليّ تجور
 فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت فهل يأتيني بالطلاق بشير

(١٧٨) أراعي : انظر وأراقب .

الفرقدان : نجلان قريبان من القطب .

سرى : التجوز .

(١٧٩) علقت : أحببت .

[وتذكر ليلي]

وقيل : خرج الملوخ أبو المجنون في عدة من عشيرته ومعه المجنون وذلك قبل أن يفشو أمره ، فمر بواد يقال له «البلاكث» فبينما هم في سيرهم إذ قال المجنون لفتى منهم كان يأنس به ويفشي سره إليه «ويحك إني ذكرت ليلي ولا بد والله من الانصراف فإن نفسي تكاد تهلك شوقاً إليها» فناشده ، فأبى ، فقال «استأذن أباك» فقال «إذاً لا يأذن لي ولكن أنا منصرف وحدي» قال «وأنا معك ولكني أعلم أخي» فأعلمه فقال «وأنا معكما» . فتخلفوا كأنهم يقضون حاجة ثم عبروا وحولوا رؤوس إبلهم . وقال :

بينما نحن بالبلاكث بالقفا ع سراً والعيس تهوي هوباً
خطرت خطرة على القلب من ذك راك وهناً فما استطعت مضياً
قلت لببيك إذ دعاني لك الشو ق وللحاديين كر المطياً

قال الوالبي : فلما طار به الوجد^(١٨٠) ولم يقدر على النظر ، خرج متكرراً يريد حي ليلي ، فلما انتهى إلى قرب الحي بقي محيراً لم يدرك كيف يحتال ويصنع في دخول الحي عسى أن ينظر إليها نظرة ، فبينما هو كذلك إذ رأى عجوزاً معها سائل في عنقه سلسلة تدور به على الأبواب ، فقال يا عجوز ما تريد من هذا السائل ؟ قالت «نصف ما يأخذ» قال «ضعي هذه السلسلة على عنقي وخذي ما علي من الثياب» فوضعتها على عنقه وأقبلت تدور به على الأبواب والصبيان يرمونه بالحجارة ويصيحون بالكلاب عليه ، فلما صار قريباً من خباء ليلي أنشد يقول :

هنيئاً مريئاً ما أخذت وليتي أراها وأعطي كل يوم ثيابيا
ويا ليتها تدري بأنني خليلها وأني أنا الباكي عليها بكائيا
خليلي لو أبصرت مني وأهلها لدي حضور خلت مني سوايا^(١٨١)
ولما دخلت الحي خلفت موقدي بسلسلة أسعى أجر ردايا

(١٨٠) الحب الشديد .

(١٨١) سواي : أي شخص آخر سواء من فرط تغير حالي .

أَمِيلُ بِرَأْسِي سَاعَةً وَتَقْوَدُنِي
وَقَدْ أَحَقَّدَ الصَّبِيَّانُ بِي وَتَجَمَّعُوا
نَظَرْتُ إِلَى لَيْلَى فَلَمْ أَمْلِكِ الْبُكَاءَ
فَقَامَتْ هَيَوْبًا وَالنِّسَاءُ مِنْ أَجْلِهَا
مَعْدَبَتِي لَوْلَاكِ مَا كُنْتُ سَائِلًا
وَقَائِلَةً وَارْحَمَةَ لَشَبَابِهِ
أَصَاحِبَةَ الْمَسْكِينِ مَاذَا أَصَابَهُ
وَمَا بِالْهَيْبَةِ فَقُلْتُ لِمَا بِهِ
بَنِي عَمِّ لَيْلَى مَنْ لَكُمْ غَيْرَ أَنَّنِي
وَدَدْتُ عَلَى طَيْبِ الْحَيَاةِ لَوْ أَنَّهَا
فَمَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً
فِيَا أَهْلَ لَيْلَى كَثُرَ اللَّهُ فِيكُمْ
فَمَا مَسَّ جَنْبِي الْأَرْضَ حَتَّى ذَكَرْتُهَا

عَجُوزٌ مِنَ السُّؤَالِ تَسْعَى أَمَامِيَا
عَلَيَّ وَشَدُّوا بِالْكَلاَبِ ضَوَارِيَا
فَقُلْتُ ارْحَمُوا ضَعْفِي وَشَدَّةَ مَا بِيَا
تَمْشِينَ نَحْوِي إِذْ سَمِعَنْ بِكَائِيَا (١٨٢)
أَدُورُ عَلَى الْأَبْوَابِ فِي النَّاسِ عَارِيَا
فَقُلْتُ أَجَلٌ وَارْحَمَةَ لَشَبَابِيَا
وَمَا بِالْهَيْبَةِ يَمْشِي الْوَجَى مَتْنَاهِيَا (١٨٣)
أَلَا إِنَّمَا أَبْكِي لَهَا لَا لِمَا بِيَا
مُجِيدٌ لِلَّيْلِ مَا حَيَّيْتُ الْقَوَافِيَا
يَزَادُ لِلَّيْلِ عَمْرُهَا مِنْ حَيَاتِيَا
وَمَا زَادَنِي النَّاهُونَ إِلَّا أَعَادِيَا
مِنْ أَمْثَالِهَا حَتَّى تَجُودُوا بِهَا لِيَا
وَلَا وَجَدْتُ رِيحَهَا فِي ثَنَائِيَا

(١٨٢) هَيَوْبًا: خَائِفَةً وَجَلَّةً.

النِّسَاءُ: مَخْفَفَةٌ مِنَ النِّسَاءِ صَوِّمَجَاتِهَا.

(١٨٣) يَمْشِي الْوَجَى: يَمْشِي حَافِي الْقَدَمَيْنِ.

[طبيبان]

فلما فرغ من شعره مر على وجهه عرباناً لا يلوي^(١٨٤) على شيء، فمر بطبيبين وهما على قارعة الطريق فدنا منهما وقال: هل فيكما من يداويني؟ قالوا: من أنت؟ قال: المجنون المستهام، قالوا: ما للعشاق عندنا دواء هو أبلغ من حبيب ضجيع إلى جنبه. فقال:

طبيبان لو داويتماني أُجِرتما
فقالا بحزنٍ: ما لك اليوم حيلة
وقالوا دواء الحب غالٍ وداؤُه
فما برحنا حتى كتبتُ وصيتي
فما خيرُ عشقي ليس يقتل أهله
ألا حبذا البيض الأوانس كالدمى
قال: فما مضى إلا قليل إذ هو بغراب ساقط على شجره ينق فدنا منه وقال:

ألا يا غرابَ البين هيجتَ لوعتي
أبا البين من ليلي فإن كنتَ صادقاً
ولا زال رامٍ فيك فوق سهمه
ولا زلتَ عن عذب المياه منقراً
فإن طرتَ أردتَكَ الحتوف وإن تقنَّع
فويحك خبرني بما أنت تصرخ
فلا زال عظمٌ من جناحك يُفسخ^(١٨٥)
فلا أنت في عشٍ ولا أنت تُفرخ^(١٨٦)
ووكرك مهدوماً وبيضك يُرضخ^(١٨٧)
تقيضُ ثعبانٌ بوجهك ينفخ^(١٨٨)

(١٨٤) لا يهتم بأي شيء مهما كان.

(١٨٥) يفسخ: ينقطع، وينفصل عنوة.

(١٨٦) فوق: صوب نحو الأعلى.

تفرخ: تضع فراخها وهي صفار الطير.

(١٨٧) منفراً: مبعداً.

يرضخ: يداس عليه.

(١٨٨) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

تقيض: تهبأ وظهر.

على جمرٍ حَرَّ النار يُشوى وَيُطبخ
وريشك متوف ولحمك يشرخ

وعانيتَ قبل الموت لحَمَكَ مشدَّخا
ولا زَلَّتْ في شرِّ العذاب مغلَّدا
وقال:

يبعد النوى لا أخطأتك الشبائك^(١٨٩)
بينونة الأحباب إلفك فارك^(١٩٠)
وضاقت برحبها عليك المسالك
وناحت على ابنك الضروس المباحك^(١٩١)
كما أنا من بين الأجنة هالك

أقول وقد صاح ابنُ دابةٍ غدوةً
أفي كل يومٍ رائعي أنت روعةً
ولا بضتَ في خضراء ما عشتَ بيضة
وفارقتَ أم الأفرخِ السوء عن قلى
وأصبحتَ من بين الأجنة هالكاً
وقال:

بينونة الأحباب دمعك سافحُ
كما سُلَّ من نظم اللَّائي تطارُحُ
وأمكن من أوداج حلقك ذابح
إذا أمنوا الشنحاج أنك ضائع^(١٩٢)
وكن رجلاً واجمع كما هو جامع

أمن أجل غربانٍ تصايحن غدوةً
نعم جادت العينان مِنِّي بعبرةٍ
ألا يا غرابَ البين لا صحتَ بعده
يَرُوعُ قلوبَ العاشقين ذوي الهوى
وعَدَّ سواءَ الحبِّ واتركه خالياً

ثم مضى على وجهه، فينما هو يدور إذ مر بأطيار على أشجار يجاوب بعضها بعضاً
ويهدرن، فدنا منهم وقال:

فلإني إلى أصواتكن حنونُ
وكدتُ بأسرارٍ لهن أبينُ

ألا يا حماماتِ الجَمَى عُدْنَ عودةً
فعدْنَ فلما عُدْنَ عُدْنَ لشقوتي

(١٨٩) ابنُ دابةٍ: كناية عن الغراب.

الشبائك: على وزن فعائل، وهي شباك الصياد.

(١٩٠) رائعي: مغزعي.

بينونة: فراق، هجر، بعد.

فارك: من فرك الثوب أو السنبُل إذا افته.

(١٩١) الأفرخِ السوء: صغار الطير الملاحين، عن قلى: عن كراهية وعن بغض.

الضروس: على وزن فعول، وهي صيغة مبالغة أي شديد.

المباحك: المبخض.

(١٩٢) الشنحاج: صوت الغراب.

وعدن بقرقار الهدير كأنما
فلم ترعيني مثلهن حمائم
وكن حمامات جميعاً يعطل
فأصبحن قد قرقرن إلا حمامة
تذكرني ليلي على بعد دارها
إذا ما خلا للنوم أرق عينه
تداعين من بعد البكاء تألفاً
فيا ليت ليلي بعضهن وليتني
ألاً إنما ليلي عصا خيزرانة
وقال أيضاً:

شربن مُداماً أو بهنّ جنوناً (١٩٣)
بكين فلم تدمع لهنّ عيون
فأصبحن شتى ما لهن قرين
لها مثل نوح النائحات رنين
رواجف قلب مات وهو حزين
نوائح ورق فرشهن غصون
فقلبن أرياشاً وهنّ سكون
أطير ودهري عندهن ركين
إذا غمزوها بالأكفّ تلين

أجذك يا حمامات بطوق
أعرك يا حمامات طريق
وأني قد براني الحب حتى
أراد الله محلك في السّلامى
ولست وإن حننت أشدّ وجداً
وبي مثل الذي بك غير أني
أما والله غير قلى وبُغض
لقد جعلت دواوين الغواني
فقدماً كنت أرجى الناس عندي

فقد هيّجت مشغوفاً حزيناً
بأنّي لا أنام وتهجعينا
ضنيت وما أراك تغيرينا
إلى من بالحنين تشوقينا (١٩٤)
ولكنني أسير وتعلنينا
أحل عن العقال وتعلنينا (١٩٥)
أسد ولم أزل جزعاً حزيناً
سوى ديوان ليلي مُحلينا (١٩٦)
وأقدرهم على ما تطلبينا

(١٩٣) قرقار: تردد الصوت.

والهدير صوت الماء القوي عندما ينزل من شلال أو جدول أو نهر أو غيره. وقد شرحها البعض على أنها صوت الحمام وهذا خطأ بين لأن صوت الحمام يسمى (هديلاً) وليس (هديراً).
والمدام: الخمر أو اسم من أسماء الخمر.

(١٩٤) محلك: المحل الإجداب، ومعناه انقطاع المطر ويباس الأرض.
السّلامى: العظام.

(١٩٥) أحل: امتنع واتخلص.

العقال على وزن فعال وهو الأسر.

(١٩٦) محلين على وزن مفعلين، أي متروكة مهملة، لا يلتفت إليها.

وعصيانِي عليكِ العاذِلِينَا

أَلَا لَا أَتَسَنَّنُ رَوَعَاتِ قَلْبِي
وَقَالَ أَيْضاً:

تَجَاوِبُ أُخْرَى دَمْعُ عَيْنِكَ دَافِقُ
بَلِيلٍ وَلَمْ يُحْزَنْكَ إِلْفُ مَفَارِقُ
سَوَاكَ وَلَمْ يَعِشْ كَعِشْقِكَ عَاشِقُ
أَخُو الْحُبِّ مَنْ ذَاقَ الْهَوَى وَهُوَ تَائِقُ

إِنْ سَجَعْتُ فِي بَطْنِ وَادٍ حَمَامَةٍ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِكَاءِ حَمَامَةٍ
وَلَمْ تَرِ مَفْجُوعاً بِشَيْءٍ يَحِبُّهُ
بَلَى وَأَفْقُ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى فَإِنَّمَا

ثُمَّ جَلَسَ مُتَفَكِّراً حَزِيناً ثُمَّ هَامَ عَلَى وَجْهِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ إِذْ مَرَّ بِسَرَبٍ مِنْ قَطَا
يَتَطَايِرُ، فَقَالَ:

فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ
فَعَاشْتُ بِضَرْ وَالْجَنَاحِ كَسِيرُ
فَأَشْكُرُهُ إِنْ الْمَحَبَّ شُكُورُ
وَنِيرَانُ شَوْقِي مَا بِهِنَّ فَتُورُ^(١٩٧)
غِدَادَةٌ غَدِ فَيَمْنُ تَسِيرُ نَسِيرُ
يَعَاودُنِي بَعْدَ الزَّفِيرِ زَفِيرُ
فَكَيْفَ تَرَاهَا عِنْدَ ذَلِكَ تُجِيرُ
تَوَقُّدُ جَمْرٍ ثَاقِبٍ وَسَعِيرُ
وَنَيْلُ وَشَرِيَّانٍ لَهْنٍ مَجِيرُ^(١٩٨)
مَعْطَفَةٌ لَيْسَتْ بِهِنَّ كَسُورُ^(١٩٩)
قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِهَا وَظُفُورُ
فِيَا كَبْدًا مِنْ خَوْفِ ذَلِكَ تَغُورُ
أَخُو سَقَمٍ أَمْ هَلْ يُفَكُّ أَسِيرُ

شَكُوتُ إِلَى سَرَبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرْنَ بِي
أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ
وَأَيُّ قَطَاةٍ لَمْ تُعَرِّنِي جَنَاحَهَا
وَلَا فَمَنْ هَذَا يُوْدِي رِسَالَةً
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو صَبُوتِي بَعْدَ كَرْبَتِي
فَإِنِّي لِقَاسِي الْقَلْبِ إِنْ كُنْتُ صَابِراً
فَإِنْ لَمْ أُمْتَ غَمًّا وَهَمًّا وَكَرْبَةً
إِذَا جَلَسُوا فِي مَجْلَسٍ نَذَرُوا دَمِي
وَدُونَ دَمِي هُزُّ الرِّمَاحِ كَأَنَّهَا
وَزَرَقُ مَقِيلِ الْمَوْتِ تَحْتَ ظَبَاتِهَا
إِذَا غَمَزَتْ أَصْحَابُهَا تَرْنَمَتْ
قَطْعَنَ الْحَصَى وَالرَّمْلَ حَتَّى تَفْلَقَتْ
وَقَالَتْ أَخَافُ الْمَوْتَ إِنْ يَشْحَطِ النَّوَى
سَلُوا أُمَّ عَمْرُو هَلْ يَنْوَلُ عَاشِقُ

(١٩٧) صَبُوتِي: مِيلِي وَاقْتَنَانِي.

فَتُور: ضَعْفٌ، مَدُوءٌ.

(١٩٨) مَقِيلٌ: مَنْ قَالَ، يُقِيلُ، إِذَا اسْتَرَاخَ.

الظَبَاةُ: جَمْعُ ظَبَةٍ وَهِيَ حَدُّ السِّيفِ.

(١٩٩) مَعْطَفَةٌ: مَائِلَةٌ، أَوْ مُتَمَايِلَةٌ.

فإنني لها فيما لذي مجيرُ
من الوُزقي مطرابُ العشي بكورُ
فلا صحلُ تُربي به وصفيرُ (٢٠٠)
تعاطين كأساً بينهن تدورُ (٢٠١)
وأعلاه أثلُ ناعمٌ وسديرُ (٢٠٢)
وآخر وحشي السخال يشورُ

ألا قل لليلي هل تراها مجيرتي
أظلل بحزنٍ إن تغنت حمامةُ
بكت حين درُ الشوق لي وترنمت
لها رفقة يسعدنها فكأنما
يجزع من الوادي فضاء مسيله
به بقر لا ييرح الدهر ساكنا

وقال أيضاً:

وبأن الأخلاء الذين تزورُ
نوى بالكلييات عنك تجورُ (٢٠٣)
لها دونَ تكدير الصفاء نكيرُ
ونجران مخضرُ الجنب مطيرُ
عذارِي من بعد المشيب قثيرُ
أشار بليلي نحوهن مشيرُ
لهن دماء المسلمين طهورُ

أجدُّ بأحياء الجميع بُكور
وشق عصا الجيران يومَ ترحلوا
براعة مكروه من البين لم يكن
محبً أتاها أن ما بين ييشة
أيذهب عقلي بعد علمي وإن علا
ومستجهلي بعد التحلم نسوة
تعودن قتل المسلمين كأنما

(٢٠٠) صحل صوته: أي بح صوته.

(٢٠١) يسعدنها: عادة جاهلية وهي اجتماع النسوة لمساعدة إحداهن، وعادة ما يكون ذلك في الجنازة بالعديد والبيكاء والعويل وهذه العادات تنتشر بالذات في القرى والأحياء الشعبية العربية، وهذا بالطبع لا يتفق بأي حال من الأحوال مع القيم والمبادئ الإسلامية فكما علمنا الإسلام ورسوله ﷺ: ليس منا من لطم الخدود، وشق الحبوب، ودعا بدعوة الجاهلية الأولى. والمساعدة تكون في الأفراح أيضاً بتقديم التهاني والمعاونة في الأعمال التي يتطلبها الفرح.

ولا مانع في المساعدة في المآتم بتقديم التعازي وغالباً ما يكون أهل المتوفى في شغل شاغل لذلك يسارع الجيران بتقديم الطعام للمعزين ولأهل المتوفى، وذلك سلوك حميد ما زلنا نجده في قرانا العربية - الذي نشجبه ونرفضه العوسل وأي نوع من المبالغة في الحزن أوفي الفرح فهما وجهان للحياة يوم نفرح، ويوم نحزن، ولا شيء يدوم على حال، ودائن تدان كما يقولون.

(٢٠٢) جزع من الوادي: منطقة منه.

أثل: شجرة.

سدير: نبت.

(٢٠٣) الكلييات: موضع.

تجور: يتعد.

وقلن تزوّج ثم دَع ما كان يبتا
أردن بلائي ما قضين لبانة
أجارك من ريب الزمان مجيرُ
فقد غارَ أو كاذ النجومُ تغورُ^(٢٠٤)
وقال أيضاً:

شغف الفؤادُ بجارةِ الجنب
يا جارتِي أَسِيتِ مالكةُ
فظللتُ ذا أسفٍ وذا كَرَبٍ
روحي وغالبةُ على لُبِّي

[أيها الراكب]

وذكر أبو إسحاق بن الهيثم أن رجلاً من بليلي وهي واقفة على باب خبائها فقالت أين تريد يا عبد الله؟ فقال أريد بني عامر، فزفرت زفرة وقالت:

يا أيها الراكب المزجي مطيته عرج لأنبيء عني بعض ما أجد
فما رأى الناس من وجدي تضمّنهم إلا ووجد به فوق الذي أجد
أهوى رضاه وإني في مودته وحبه آخر الأيام أجتهد
فلما بلغ المجنون ذلك كتب إليها مع ذلك الرجل:

وأنت التي كلّفتني دلج السرى وأنت التي قطّعت قلبي حرارة
وأنت التي أغضبت قومي كلهم وأنت التي أخلفتني ما وعدتني
وأبرزتني للناس ثم تركتني فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا
وجون القطا بالجلهتين «جثوم» (٢٠٥) ورقرت دمع العين فهو سجوم
بعيد الرضى داني الصدود كظيم وأشمت بي من كان فيك يلوم
لهم غرضاً أرمى وأنت سليم بجسمي من قول الوشاة كلوم
ثم قال: إن المجنون اعتل بعله فبعثت إليه ليلي تَعُوده وتقول: إن تهيأت زيارتك
غدا فعلت. فقال:

تعود مريضاً أسقمته بهجرها لقد أضمرت في القلب ناراً من الجوى
وإني على هجرانها وصدودها خليلي كفا لا تلوما متيماً
ولو عادته عاد لا يعرف السقما فما تركت عظما ولا تركت لحما
وما حلّ بي منها أرى جها حتما ولا تقتلا صباً بلومكما ظلما

(٢٠٥) دلج السرى: السير في الظلام ليلاً.

وجون القطا: الطير، اسود البطن.

جثوم: راقدات.

[ما شجاني]

وقال أيضاً:

وممّا شجاني أنها يوم ودّعت	تقول لنا أستودع الله من أدري
وكيف أعزّي النفس بعد فراقها	وقد ضاق بالكتمان من حبها صدري
فوالله والله العزيز مكانه	وقد كاد روحي أن يزول بلا أمري
خليليّ مُراً بعد موتي بتربتي	وقولا لليليّ ذا قتيلٍ من الهجري

[دموع العين]

قال أبو بكر: مر رجل، بالمجنون وهو يتردد في الرمل فقال: مالك يا أبا المهدي؟ فقال:

بي اليوم ما بي من هيام أصابني
كأن دموع العين تُسقى جفونها
عروباً أثرتّها نواضح مُعرب
أمرت ففاضت من فروع حثيثة
وقد بعدوا واستطردوا الألّ دونهم

فإيّاك عني لا يكن بك ما بيا
غداة رأت أظعان ليلى غواديا
معلقةً تروي نحيلاً صواديا
على جدولٍ يعلو فناً متعاديا
بديمومة قفراً وأنزلت جاديا

قال: ثم تأوه واستعبر، فرأيت دموعه تتبادر على خده كاللؤلؤ المنثور وسمط الجمان المفصل بالشذور شفعاً ووترًا. وقال:

ذكرت عشيّة الصدفين ليلى
إذا حال الغرابُ الجونَ دوني
عليّ أليّة إن كنت أدري
لها في طرفها لحظات حتف
وإن غضبت رأيت الناس هلكى
فقلن لقد بكيت فقلت كلا
ولكن قد أصاب سواد عيني
فقلن فما لدمعهما سواء

وكل الدهر ذكرها جديداً
فمنقلبي إلى ليلى بعيداً (٢٠٦)
أينقص حب ليلى أو يزيد
تميت بها وتحى من تريد
وإن رضيت فأرواح تعود
وهل يبكي من الطرب الجليد
عويد ندى له طرف حديد
أكلت مقلتيك أصاب عود؟

(٢٠٦) الجون: الشديد السواد.

منقلبي: عودتي.

[قاتل الله الهوى]

وقال أيضاً:

ألا قاتل الله الهوى ما أشدّه وأسرعه للمرء وهوجليدُ
دعاني الهوى من نحوها فأجبتّه فأصبح بي يستن حيث يريدُ (٢٠٧)

[على ذمتي دار لليلي]

حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق قال: خرجت يوماً أتضيف الأراوي (٢٠٨) ومعي جماعة من أصحابي، فلما صرت بناحية الحمى إذا أنا بأراكة (٢٠٩) قد بدا منها قطيع من ظباء في شخص إنسان يرى من ظل تلك الأراكة، فتعجب أصحابي منه، وعرفته ساعة رأيته، فتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويدا حتى أتيت الأراكة، فرقيت عليها وأشرفت عليه وعلى الظباء، وإذا أنا به قد تدلى الشعر على حاجبيه وعينه فلم أكد أعرفه إلا بعد هوى من النهار وهو يرتعي (٢١٠) من ثمر الأراك لا يرفع رأسه، فتمثلت بشيء من شعره وهو:

على ذمتي دارٌ لليلي كأنما إزاران من بردٍ لها خَلِقَانِ
وكيف إلى ليلي إذا رمّ أعظمي وصار وسادي منكبي وبناني
وحلّت بأعلى بيشتين فأصبحت يمانية والرمس غيرُ يمانِ

(٢٠٧) من نحوها: من جهتها.

يستن: يذهب.

(٢٠٨) أتضيف: أطعم.

الأراوي: جمع أروية وهو غنم البرية.

(٢٠٩) أراكة: مجتمع شجر الأراك والذي نأخذ منه السواك.

(٢١٠) يرتعي: يأكل.

[أيها الشيخ]

وقيل إن المجنون لما شهر أمره بليلى خطبت له ، فأبى أبوها أن يزوجه ، وهكذا كانت العرب إذا شهر رجل بحب امرأة لم يزوها منه ، فاشتد وجده وتراقت سورة عشقه ، وكان له عم يقال له يزيد وكان شجاعاً بطلاً إلى أن لا يتزوج المجنون بليلى ولا أحد من الناس إلا قتله ، فأنشأ يقول :

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى	شقيتَ ولا أدركتَ من عيشك الخفضا
شقيتَ كما أشقيتني وتركتني	أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا
أما والذي أبلى بليلى بليتي	وأصفى ليلي من مودتي المحضا
لأعطيتُ في ليلي الرضا من يبيعها	ولو أكثروا لومي ولو أكثروا القرضا
فكم ذاكر ليلي يعيش بكربة	فينفض قلبي حين يذكرها نفضا
وحقُّ الهوى إنني أحس من الهوى	على كبدي ناراً وفي أعظمي مرضا
كأن فؤادي في مخالب طائر	إذا ذكرتها النفس شدت به قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم	عليّ فما تزداد طولاً ولا عرضا
وأغشي فيحامي لي من الأرض مضجعي	وأصرع أحياناً فالتزم الأرضا
رضيتُ بقتلي في هواها لأنني	أرى حبها حتماً وطاعتها فرضا
إذا ذكرتُ ليلي أهيم لذكرها	وكانت مني نفسي وكنْتُ لها أرضي
وإن رُمت صبراً أو سلواً بغيرها	رأيت جميع الناس من دونها بعضا

قال : فلما سمع عمه هذه الأبيات رق قلبه له وقال : لا يزوها أحد سوى ابن أخي إلا قتلته ، فمكث برهة من دهره ، ثم إن يزيد هلك فأنشأ يقول :

خليلي هل قيظُ بنعمان راجع	لياليه ، أو أيامهنَّ الصوالحُ
ألا لا ولا أيامنا بمتالع	رواجع ما أوري بزندي قاذح
إذا العيش لم يكدر عليّ ولم يمت	يزيدُ وإذ لي ذو العقيدة ناصح

قال فخطبها من كل جانب، فأخبرت أن أبا ليلى حج بها فرآها رجل من ثقيف،
فخطبها، فزوجه، فبلغ ذلك المجنون، فأنشأ يقول:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت	تقطع إلا من ثقيف جبالها
إذا التفتت والعيسُ صعرٌ من البرى	ينحلة غشى عبرة العين حالها
فهم حبسوها محبس البدن وابتغى	بها المال أقوام فلا قل مالها
وقال أيضاً:	

ألا يا بائعي ليلى بمكة ضلّة	تبايعتما هل يستوي الثمنان
فما غبن المبتاع ليلى بماله	بل البائع ليلى هما غبنان
وقال أيضاً:	

حبيب نأى عني الزمان بقربه	فصيرني فرداً بغير حبيب
فلي قلب محزون وعقل مدله	ووحشة مهجور وذل غريب
فيا حقب الأيام هل فيك مطمع	لرد حبيب أو لدفع كروب

[مقام الشمس]

(حكى الوالبي) قال : حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : خرج رجل منا إلى ناحية الشام وبلاد نجد في طلب بعير له ، فأتى أحياء بني عامر فإذا خيمة رفعت له فقصدها وقد بل المطر ثيابه ، فلما دنا إذ امرأة كلمته فقالت : انزل أيها الرجل ، قال فتزلتُ وحططت رحلي وراحت إبلهم وغنمهم ، فإذا نعم كثيرة ورحل خصيب ، فقالت لبعض من كان مع الإبل ، سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت من ناحية نجد وتهامة ، فقالت يا عبد الله بمن نزلت هناك؟ قلت ببني عامر ، فتنفست الصعداء ، فقالت بأبي ونفسي بنو عامر ، ثم قالت وهل سمعت بفتى يقال له قيس ويلقب بالمجنون؟ فقلت نعم والله نزلت بأبيه ولقد أتيت حتى نظرت إليه يهيم في الصحراء مع الوحوش لا يعقل حتى تذكر له ليلي ، فإذا ذكروها تاب إليه عقله فيحدث بحديثها وينشد شعره فيها ، قال فرفعت الستر من بيني وبينها فإذا هي شقة قمر لم تر عيني قط أجمل منها ، وقالت هل تروي شعره؟ قلت : بلى هو الذي يقول :

<p>أنيري مكان البدر إن أفل البدرُ ففيك من الشمس المنيرة ضوءها بلى لك نور الشمس والبدر كله لك الشارقة اللألاء والبدر طالع من أين الشمس المنيرة بالضحي وأنى لها من دَلَّ ليلي إذا اثنت تبسم ليلي عن ثنايا كأنها منعمة لو باشر الذرُّ جلدها إذا أقبلت تمشي تقارب خطوها</p>	<p>وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجرُ وليس لها منك التبسم والشجرُ ولا حملت عينيك شمس ولا بدرُ وليس لها منك الترائب والنحرُ بمكحولة العينين في طرفها فترُ بعيني مهة الرمل قد مسها الذعرُ إقاح بجرعاء المراضين أو ذرُ لأثر منها في مدارجها الذرُّ (٢١١) إلى الأقرب الأدنى تقسمها البهرُ (٢١٢)</p>
---	--

(٢١١) الذر : صغار النمل .

(٢١٢) البهر : انقطاع النفس من كثرة الإعياء .

تخاف على الأرداف يثلمها الخصر^(٢١٣)
 إلى رشا طفل مفاصلها خيدر^(٢١٤)
 رهائم وشمي سحائبه غزر
 بأجرع حزوى وهي طامسة دثر
 وآخر معهاد الرواح لها زجر
 وأنوارها واخضوضل الورق النضر
 روائح للإظلام ألوانها كدر
 وآثار آيات وقد راحت العفر^(٢١٥)
 إلي التفاتاً حين ولت بها السفر
 تحلب من أشفارها درر غزر
 أشيم رسوم الدار ما فعل الذكر
 ملفعة ترباً وأعينها غزر^(٢١٦)
 ينوب ولكن في الهوى ليس لي صبر

مريضة أثناء التعطف إنها
 فما أم خشف بالعقيقين ترعوي
 بمخضلة جاد الربيع زهاءها
 وقفنا على أطلال ليلي عشية
 يجاد بها مزنان أسحم باكر
 وأوفى على روض الخزامى نسيمها
 رواحا وقد حنت أوائل ليلها
 تقلب عيني خازل بين مرعو
 بأحسن من ليلي معيدة نظرة
 محاذية عيني بدمع كأنما
 فلم أر إلا مقلّة لم أكد بها
 رفعن بها خوص العيون وجوها
 وما زلت محمود التصبر في الذي
 فقالت: هل من مزيد؟ فأنشدتها:

كفاك بذاك فيه لنا تداني
 ويعلوها النهار كما علاني

أليس الليل يجمعني وليلى
 تزى وضح النهار كما أراه

قال: فوالله ما أتممت البيتين حتى شهقت شهقة وسقطت على وجهها تبكي حتى
 ظننت أن كبدها قد تصدعت، فقلت يا هذه أما تتقين الله الذي إليه معادك؟ فما عقلت ما
 قلت لها، ثم قامت بعد حين وأنشأت تقول:

(٢١٣) يثلمها: يعييها.

(٢١٤) خدر: جمع أخدر وهو الضعيف.

الرهائم: الأمطار.

الوسمي: أول أمطار الربيع.

(٢١٥) خازل: منتصف الظهر.

مرعو: عائد.

العفر: جمع أعفر، وهونوع من الظباء.

(٢١٦) خوص العيون: غائرات العيون.

غزر: ضيقه.

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رَحُلُ قيسٍ مستقلٌ فراجعُ
بنفسي من لا يستقلُّ برَحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع
ثم أقمت عندها ثلاثاً تسألني عن خبره وتبكي بكاء يتوجع لها كبدي فوالله ما ظننتُ
أحداً يجد كوجدها ولوعتها، فلما أردت الرحيل سألت عنها فإذا هي ليلي العامرية .

[قوى النفس]

وذكر قيس بن معمر قال : قلت لليلى : من أعز خلق الله عليك ؟ قالت : من إذا عثرتُ نهضت باسمه ، وإذا رقدت حلمت بوجهه : قيس ابن الملوح ، قلت : فهل قلت في ذلك شعراً ؟ قالت : نعم . وأنشأت تقول :

إذا ذهلتُ رجلي بدأتُ بذكره	وأحلمُ في الهومي به وأعيشُ
إذا ذكرَ المجنونُ زالت بذكره	قوى النفس أو كاد الفؤادُ يطيشُ
ووالله ما كادَ الفؤادُ يُجنُّه	وإن كان صدري من هواه يجيشُ

[توعدي قومي]

قال أبو جاثع ليبد بن عنبسة : حدثني بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية : والله لئن لم تنتهي عن ذكره لنقتلنكما معاً ، فبعثت إلى القائل على يد مولاة لها رقة مكتوباً فيها :

توعّدني قومي بقتلي وقتله	فقلتُ اقتلوني واتركوه من الذنب
ولا تُتبعوه بعد قتلي ذلّةً	كفى بالذي يلقاه من سورة الحب

وقال الحسن بن سهل : أنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لليلى العامرية :

قد كنتُ حاذرةً للدهرِ عارفةً	أن سوفَ يطلبني بالرمي مفتقداً
حتى رمانى بمن قد جلّ عن صفتي	فما أرى لي به وئلي الغداة يداً
لِقتُ الدواة بماءِ العين ثم به	كتبْتُ ما يكتبُ المجهودُ إذ جهداً
هذا الوداعُ لمن روجي الفداء له	قد خِفْتُ أن لا أراه بعده أبداً

[ثلاثون يوماً]

قال أبو بكر: ذكر أن المجنون لما تراكمت علته إلى صعوبة وعسر علاجه، وأعياء الأطباء داؤه، ولم ينجع فيه الدواء، وصار إلى أسوأ حالة من توحشه في الصحاري، شق ذلك على ليلي وأذهلها، فدعت بغلام وكتبت إليه: بسم الله الرحمن، والله يا ابن عم إن الذي بي أضعاف ما بقلبك ولكن وجدت السترة أبقي للمودة وأحمد في العاقبة. وكتبت آخره:

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى	بأزغن رُكناء صفاً وحديدُ
تقطّع من وجد وذاب حديدُه	وأَمسى تراه العينُ وهو عميدُ
ثلاثون يوماً كلَّ يومٍ وليلةٍ	أموتُ وأحيا إنَّ ذا لشديدُ

[أهـن إلى ليلى]

وأمرت الغلام بطلبه حيث كان من الأرض وردَّ الجواب عنه، فمضى الغلام ولم يزل يطلبه في الصحارى حتى أصابه في يوم صائف شديد القيظ والسموم، قد لجأ إلى كهف جبل عظيم وهو مطرق ينكت الأرض بإصبعه ويقول:

أجُنُّ إلى ليلى وإن شطَّتِ النوى بليلى كما حنَّ اليراعُ المنشبُ
يقولون ليلى عذبتك بحبها ألا حبداً ذاك الحبيب المعذب

فدنا منه وقال: يا قيس هذا كتاب ليلى وهي تقرأ عليك السلام، فلما ذكرها رجع إليه عقله واستوى قاعداً وتناول الكتاب وقرأه وجعل يبكي ويقول:

إذا جاءني منها الكتابُ بعينه خلوتُ بيتي حيثُ كنتُ من الأرضِ
فأبكي لنفسي رحمةً من جفائِها ويبكي من الهجرانِ بعضي على بعضي
وإنى لأهواها مُسيئاً ومحسناً وأقضي على نفسي لها بالذي تقضي
فحتى متى روحُ الرُّضا لا ينالني وحتى متى أيامُ سخطك لا تمضي

ثم أجابها عن كتابها بهذه الأبيات:

أيا مُهدٍ لي نعيَ الحبيبِ صبيحةً بمن وإلى من جثمتا تشيانِ
بمن لو رآه عانياً لفديتهُ ومن لو رآني عانياً لفدانِي
فمن مبلِّغ عني الحبيبِ رسالةً بأنْ فؤادي دائمُ الخفقانِ
وأنى ممنوعٌ من النومِ مُدنفٌ وعيَّاي من وجدِ الأسى يكفانِ

وضمته:

وجدتُ الحبَّ نيراناً تلظى قلوبُ العاشقين لها وقودُ
فلو كانت إذا احترقتُ تفانتُ ولكنْ كلما احترقتُ تعودُ
كأهلِ النارِ إذْ نضجتْ جلودُ أعيدتُ للشقاءِ لهم جلودُ

أَمَّا وَالَّذِي أَعْطَاكَ بَطْشاً وَقُوَّةً
لَقَدْ مَحَّضَ اللَّهُ الْهَوَى لَكَ خَالِصاً
تَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ الْجَسُومِ وَحَلَّ بِي
سَلْيِ اللَّيْلِ عَنِي هَلْ أَذُوقُ رِقَادَهُ

وَصَبْرًا وَأُزْرِي بِي وَنَقَّصَ مِنْ بَطْشِي
وَرَكَّبَهُ فِي الْقَلْبِ مِنِّي بَلَا غَشٍّ
فَإِنْ مِتُّ يَوْمًا فَاطْلُبُوهُ عَلَى نَعْشِي
وَهَلْ لِضُلُوعِي مُسْتَقَرٌّ عَلَى فِرْشِي

[يا طبيب الجن]

وذكر أبو بكر قال: مرَّ بعض الأطباء بحيهم، فسأله أبو المجنون ما تعالج؟ قال: أعالج كل مسحور مجنون، قال: مكانك لآتيك بآبن لي يهيم في الصحراء. فخرجوا في طلبه فما زالوا يطلبونه حتى قدروا عليه وأدخلوه إلى الطبيب، وأقبل يسقيه، فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول:

ألا يا طبيبَ الجنِّ ويحك داوِني	فإنَّ طبيبَ الإنسِ أعيأه دائياً
أتيتُ طبيبَ الإنسِ شيخاً مُداوياً	بمكة يُعطي في الدَّواءِ الأمانيا
فقلتُ له يا عمَّ حُكْمكَ فاحتكم	إذا ما كُشِفَتِ اليومَ يا عمَّ ما بيا
فخاضَ شراباً بارداً في رُجاجةٍ	وطرَحَ فيه مَلوَّةً وسَقانِيا
فقلتُ ومرضى الناسِ يسعونَ حوله	أعوذُ برَبِّ الناسِ منك مُداوياً
فقال: شفاءُ الحبِّ أنْ تَلصَقَ الحشا	بأحشاءٍ من تهوى إذا كنتَ خاليا

فقال: وايم الله (٢١٧) عاشق، ودواؤها أن يلصق الحشا بأحشاء من يهوى، والمجنون يعرض شفتيه ولسانه حتى خلّوه، ثم نهض فمضى على وجهه، فبينما هو يدور إذ رأى ناراً في سفح أكمة (٢١٨) فدنا منه فإذا هم قوم رعاة فقال:

رعاة الليل ما فعل الصُّباحُ	وما فعلت أوائله الملاحُ
وما بال الذين سبوا فؤادي	أقاموا أم أجَدَّ بهم رواحُ
وما بال النجومِ مُعلَّقاتٍ	بقلبِ الصبِّ ليس لها براحُ
كأنَّ القلبَ ليلةً قيل يُغدى	بليلى العامرية أو بُراحُ
قطاة غرّها شرك فباتت	تجاذبه وقد علق الجناحُ

(٢١٧) أي ويمين الله - قسم.

(٢١٨) في أعلى مرتفع من المرتفعات - فاقترب منه

لَهَا فَرْخَانِ قَدْ تُرْكََا بِقَفَرٍ
إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ هَبًّا
فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تَرْجَى
رُعَاةَ اللَّيْلِ كُونُوا كَيْفَ شِئْتُمْ
وَعِشْتُمَا تَصَفُّقُهُ الرِّيحُ
وَقَالَا أُمْنَا تَأْتِي الرِّيحُ
وَلَا فِي الصَّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَا
فَقَدْ أَوْدَى بِيَ الْحَبِّ الْمَنَاحُ

[يا ناعبي ليلي]

وقال أبو بكر: إن المجنون بينما هو ذات يوم في أودية مصلة، قد أسند ظهره إلى بعض الصُوى (٢١٩) حزناً كثيراً، إذ مر به فارسان فنعا إليه ليلي وقالوا: مضت لسبيلها، فخر المجنون مغشياً عليه، فلما أفاق أنشأ يقول:

أيا ناعبي ليلي بجانب هضبة	أما كان ينعاها إلي سواكما
ويا ناعبي ليلي بجانب هضبة	نمن بعد ليلي لا أمرت قواكما
ويا ناعبي ليلي لقد هجتما لنا	تباريح نوح في الديار كلاكما
فلا عشتما إلا حليفي مصيبة	ولا مئتما حتى يطول بلاكما
وأسلمت الأيام فيها عجائباً	نبوتكما إني أحب رداكما
أظنكما لا تعلمان مصيبتني	لقد حل بين الوصل فيما أراكما

قال: ثم مضى حتى دخل الحي بعدما لم يكن يمر به إلا من بعيد، فأتى أهل بيتها فعزّاهم فعزوه، فقال دلوني على قبرها، فلما عرفه رمى بنفسه على القبر والتزمه، وأنشأ يقول:

أيا قبر ليلي لو شهدناك أعولت	عليك نساء من فصيح ومن عجم
ويا قبر ليلي أكرمن محلها	يكن لك ما عشنا علينا بها نعم
ويا قبر ليلي إن ليلي غريبة	بأرضك لا خل لديها ولا ابن عم
ويا قبر ليلي ما تضمنت قبلها	شبيهاً لليلي ذا عفافٍ وذا كرم
ويا قبر ليلي غابت اليوم أمها	وخالتها والحافظون لها الذمم

(٢١٩) الصوى: جمع صوة، وهي الصخور.

[إلى قبر ليلي]

قال أبو بكر: ثم إنه كان يأوي إلى قبر ليلي ويدور نهاره حتى جف جلده على عظمه، واشتدت بليته، فمكث على ذلك دهرًا، ثم إن رجلاً أحب لقاءه والنظر إليه وإلى ناحية نجد، قال الرجل فلما صرت إلى بلدهم سرت إلى محلتهم، فإذا أبوه شيخ كبير وحوله أبناء ذوو أموال وهيئات ونعم ظاهرة، فسألتهم عن المجنون فبكوا بكاء شديداً ثم قال الشيخ: كان والله أحسن هؤلاء، وإنه عشق امرأة من قومه لم تكن في المال مثله، فلم أر تزويجها إياه، وما أظن أنه يبلغ من حبها ما بلغ، فلما تمادى به الحب طلبناها فمنعها أبوها ثم زوجها غيره، فجن ابني بها وجداً فحبسناه وقيدناه، فكان يعض لسانه وشفتيه حتى كاد يقطعهما، فلما رأينا منه ذلك خيلنا سبيله فذهب في هذه الفيافي يرعى مع الوحوش ويرد المياه ونحن نبعث إليه كل يوم بطعام وشراب فيوضع له حيث يرى، فإذا انتحى عنه الواضع جاء وأكل. قلت: فإني أحب لقاءه فدلوني عليه، قالوا اخرج إلى هذه الصحراء فإنك تصيبه هناك. قلت: إذا رأيته كيف أحتال للدنو منه؟ قالوا: فإذا رأيته فأنشده بعض شعر قيس بن ذريح، فإنه معجب بشعره. قال الأعرابي: فذهبت فأصبت قاعداً يلعب بالتراب، فجلست قريباً منه، فأقبل يلاحظني ساعة بعد ساعة، فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفني دمع عيني بالبكاء	حذاراً لما قد كان أو هو كائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي	بكفي إلا أن ما حان حائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليّة	فراق حبيب بان أو هو بائن

قال: فبكي بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول:

لصفراء في قلبي من الحبّ شعبة	هوى لم ترمه الغانيات صميم
به حل بيت الحب ثم انثنى به	فزالت بيوت الحي وهو مقيم
ومن يتهيّض ^(٢٢٠) حبهن فؤاده	يمت ويعش ما عاش وهو سقيم

(٢٢٠) يتهيّض: يحطم.

فَحَرَّ إِنْ صَادَ أَنْ يُدَدَ عَنْ بَرْدٍ مَشْرَبٍ
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ فَقْدِهِمْ وَتَهَلَّتْ
أَهَذَا الَّذِي يَبْكِي مِنَ الْهُونِ وَالْبَلَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو حَبَّ لَيْلِي كَمَا شَكَا
يَتِيمٌ جَفَاءَ الْأَقْرَبِينَ فَعَظُمَ
أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنْ قَلْبِكَ فَارِغٌ
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلِي أَتُنُّ لَذَكْرَهَا
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ حُبُّهَا
دَعَاؤُنِي فَمَا عَنْ رَأْيِكُمْ كَانَ حُبُّهَا
وقال أيضاً:

لَمْ تَزَلْ مُقْلَتِي تَفِيضُ بِدَمْعٍ
مُقْلَةً دُمْعُهَا حَيْثُ وَأُخْرَى
مَا جَرَتْ مَذَّةُ عَلَى الْخَدِّ حَتَّى
دَمْعَةٌ بَعْدَ دَمْعَةٍ فَإِذَا مَا

وَعَنْ بِلَلَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ يَحُومُ
دَمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعِينَ أَلُومُ
أَمْ آخِرُ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ
إِلَى اللَّهِ فَقَدْ الْوَالِدَيْنِ يَتِيمُ
كَسِيرٌ وَفَقْدُ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمُ
وَقَلْبِي مِمَّا قَدْ أَجَنَّ يَهِيمُ
كَمَا أَنَّ بَيْنَ الْعَائِدَاتِ سَقِيمُ
عَلَى النَّايِ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ يَرِيمُ (٢٢١)
وَلَكِنَّهُ حَظٌّ لَهَا وَقَسِيمُ

مِثْلُ فَيْضِ الْغِيوْثِ مَذَّ فَقَدَتْهَا
كَلِمَا جَفَّ دَمْعُهَا أَسْعَدَتْهَا
لِحِقَّتْ تِلْكَ بِالَّتِي سَبَقَتْهَا
لِحِقَّتْ تِلْكَ هَذِهِ أَحْدَرَتْهَا

قال الأعرابي: فأقسمت عليه أن ينشدني بعض أشعاره، فأنشد يقول:

لَنْ كُثِرَتْ رُقَابُ لَيْلِي لَطَالَمَا
رِأْنُ حَالِ يَأْسٍ دُونَ لَيْلِي فَرُبَّمَا
وَمُنِيَّتِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَنِي
صَدَدَتْ وَأَشْمَتِ الْعِدَّةُ بِهَجْرِنَا
أَبْعُدْ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
مَخَافَةً أَنْ تَسْعَى الْوَشَاةُ مَظْنَةً
أَمَّا وَالَّذِي يَلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا
لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ تَصْطَفِي النَّفْسُ خِلَةً
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا

لَهُوْتُ بَلِيلِي مَا لَهُنَّ رَقِيبُ
أَتَى الْيَأْسُ دُونَ الشَّيْءِ وَهُوَ حَبِيبُ
عَلَى شَرْفٍ لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبُ (٢٢٢)
أَثَابَكَ فِيمَا تَصْنَعِينَ مُثِيبُ
بِذِكْرِكَ وَالْمَمْشَى إِلَيْكَ قَرِيبُ
وَإِكْرَامُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مَرِيبُ
وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ
لَهَا دُونَ خِلَانِ الصَّفَاءِ حُجُوبُ
عَلَيَّ بَظْهَرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ

(٢٢١) يريم: يبرح وينقطع.

(٢٢٢) شرف: مكان مرتفع.

وحتى تكاد النفس عنك تطيب (٢٢٣)
بيوم سروري في هواك | تؤوب

تلجّين حتى يذهب اليأس بالهوى
سأستعطف الأيام فيك لعلها
وقال أيضاً:

إلى آل ليلي أو دنو غروبها
وما ذنب ليلي إن طوى الأرض ذبيها (٢٢٤)
غروب ثانيا أم عمرو وطبها (٢٢٥)

ألا هل طلوع الشمس يهدي تحية
أُتْصِرْبُ ليلي إن مررتُ بذِي الغُضَى
أَجَلٌ عَلَيَّ الرَّجْمُ إن قلتُ حبّذا
وقال أيضاً:

قضاء على ليلي وإني رفيقها
يغصُّ بأعضاء المِطِيِّ طريقها (٢٢٦)
ويشغلُ عنا أهل مكة سوقها
وتمنحُ نفساً طال مطلاً حقوقها (٢٢٧)

فيا ليت ليلي وافقت كل حجة
مجمّعنا من نخلتين ثنية
فأثبناهما أن نحوي الهون والهوى

قال: نلتنا فرحاً فنصرفت إلى الحي وحدثتهم بحديثه وما أنشدني من شعره، فقالوا لي: ويحك إن رجعت إليه فانظر عسى أن تأخذ قصيدته التي قالها في الثمدين فقد جهدنا على نسخها فلم نقدر عليها. قال الأعرجي: فصررت إليه ثانياً فلم أزل أطلبه حتى وجدته على قوز (٢٢٨) من الأرض قد كرمته الريح يوماً ليمس بأصبعه فيه، فدنوت وجلست إليه وهو يلاحظني فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حث يقول:

(٢٢٣) شرف: مكان عال (والمقصود هنا أنه يلقي بنفسه منه).

(٢٢٤) تلجّين: تقسين.

(٢٢٥) ذي الغضى: اسم لموضع.

ذبيها: طالبها أو الذئب الذي يبحث عنها.

ثانيا: جمع ثنية وهي السن.

أم عمرو: كنية أخرى ليلي العامية محبوبة المجنون.

(٢٢٦) ثنية: طريق (العقبة).

يغصُّ: يمتلئ.

أعضاء: جمع عضد، وهو يساعد في الإنسان.

(٢٢٧) الهون: الهوان.

مطلاً: مماطلة وتسويفاً.

(٢٢٨) القوز: الكتيب من الرمال - ويجمع على أقواز وقيزان.

فواكبدي وعادوني رواعي وكان فراق لبنى كالخداع
تكنفني الوشاة فأزعجوني فيا لله للواشي المطاع
فأصبحتُ الغداة ألوم نفسي على شيء وليس بمستطاع
كمغبونٍ بعضٌ على يديه تبينَ غيبُسه بعدَ البياع
إذا ما تُذكرينَ تحنُّ نفسي حينَ الإلفِ يطربُّ للسماعِ

قال المجنون: بلى والله، واستعبر حيناً، ثم قال: أنا أشعر منه حيث أقول:

فوالله ثم الله إنني لدائباً أفكرُ ما ذنبي إليك فأعجبُ
ووالله ما أدري علامَ هجرتني وأيُّ أمورٍ فيك يا ليلَ اركبُ
أأقطعُ جبلَ الوصلِ فالموتُ دونهُ وأشربُ كأساً منكم ليس يُشربُ
أم اهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً أم افعلُ ماذا أم أبوحُ فأغلبُ
فأيهما يا ليلُ ما تفعلينه فأولُ مهجورٍ وآخرُ متعبُ
فلو تلتقي أرواحنا بعد موتنا ومن دونِ رمسينا من الأرضِ منكبُ^(٢٢٩)
لظلَّ صدى رمسي وإن كنتُ رمةً لدى صوتِ ليلي يَهشُّ ويسطربُ

فإن لم أكن أشعر منه في هذا، فأنا أشعر منه حيث أقول:

ألا يا نسيمَ الريحِ حكمك جائرُ عليّ إذا أرضيتني ورضيتُ
ألا يا نسيمَ الريحِ لو أن واحداً من الناسِ يلبيه الهوى لبيتُ
فلو خلط السَّمُ الزُعافُ بريقها تمصَّصتُ منه نهلةً ورويتُ

ثم قال: فإن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول:

وعارضنَ بالعقيان كلَّ مُفلجٍ به الظلمُ لم تقلُّ لهنَّ غروبُ^(٢٣٠)

(٢٢٩) دون: بعد.

الرمس: تراب القبر.

منكب: الكتف.

(٢٣٠) العقيان: الذهب الخالص.

مفلج: متباعد ما بين الأسنان.

الظلم: بريق الأسنان وماؤها.

رُضَابٌ كَرِيحِ الْمَسْكِ يَجْلُو مُتُونَهُ مِنْ الضَّرْوِ أَوْ فَرَخِ الْبِشَامِ قَضِيبٌ (٢٣١)
ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قُلْتُ: أَحْسَنَ وَاللَّهِ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ.

(٢٣١) رُضَابٌ: بضم الراء، الريق.
متونه: جمع متن وهو الظاهر.
البشام: شجر طيب الريح يستاك به.
قضيب: غصن أو سواك.

[هَبُونِي امراً]

حيث يقول:

هَبُونِي امراً إِنْ تُحْسِنُوا فَهُوَ شَاكِرٌ
فإِنْ يَكْ أَقْوَامُ أَشَارُوا بِقَتْلِهَا
فَمَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أَمْ وَاحِدٍ
وَجَدْتُ بِهَا وَجْدَ الْمُظْلِّ رِكَابُهُ
فقال: أَنَا أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ:

وَأَدْنِيَّتِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنْتَنِي
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَتَّى لَا لِي حِيلَةٌ
بقول: يُحِلُّ الْعَصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
وَعَادَرْتُ مَا غَادَرْتُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
فقلت: سَأَلْتُكَ بِحَقِّ قَبْرِ لَيْلَى أَنْ تُنْشِدَنِي قَصِيدَتَكَ الَّتِي قَلْتَهَا فِي الثَّمَدِينَ، وَقَدْ
كُنْتَ أَخَذْتَ مَعِيَ دَوَاةَ وَقَرْطَاساً، فَأَنْشُدْ:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَيَوْمَ كَظَلَّ الرَّمْحَ قَصَّرتُ ظِلَّهُ
وَأَيَّامَ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهِ وَنَاهِيَا
بَلِيلَى فَلَهَّأَنِي وَمَا كُنْتُ لَاهِيَا

[لاحت نار ليلي]

بشدينَ لاحَتْ نارُ ليلي وصُحبتِي
فقال بصيرُ القومِ لَمَحَتْ كوكباً
فقلتُ له بل نارُ ليلي توقَّدتُ
فليتَ ركابُ القومِ لَمْ تقطعِ الغُصَى
فيا ليلُ كم من حاجةٍ لي مُهمّةٍ
خليليّ إنْ لا تبكياني ألتمسُ
فما أشرفُ الأبقاعِ إلا صباةٌ
وقد يجمعُ الله الشَّيتينَ بعدما
بذاتِ الغُصَى تُرجى المِطَيّ النّواجيا
بدا في سوادِ الليلِ فرداً يمانيا
بعلياً تسامى ضوؤها فبدا ليا (٢٣٢)
وليتَ الغُصَى ماشى الرُّكَّابُ لياليا (٢٣٣)
إذا جتكم بالليل لَمْ أدر ما هيا
خليلاً إذا أنزفتُ دَمعي بكى ليا
ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداويا
يظنانِ كلَّ الظنِّ أنْ لا تلاقيا

[لحي الله أقواماً]

لحي الله أقواماً يقولون إننا
وعهدي بليلى وهي ذاتُ مؤصِّدٍ
فشَبَّ بنو ليلي وشَبَّ بنو ابنها
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذهُ
سقى الله جاراتِ ليلي تباعدتُ
ولم يُنسني ليلي افتقاراً ولا غنىً
ولا نسوةً صبغنَ كيداءَ جلعداً
خليلي لا والله لا أملكُ الذي
وجدنا طوالَ الدهرِ للحبِّ شافيا
تَرَدُّ علينا بالعشيّ المواشيا (٢٣٤)
وأعلاقُ ليلي في فؤادي كما هيا
تواشوا بنا حتى أملُ مكانيا
بهنَّ النوى حيثُ احتلنَ المطاليا
ولا توبةً حتى احتضنتُ السواريا
لتشبهَ ليلي ثم عرَّضنها ليا (٢٣٥)
قضى الله في ليلي ولا ما قضى ليا

(٢٣٢) عليا: علياء وهي مكان عالٍ.

تسامى: ارتفع.

(٢٣٣) الغُصَى: شجر أو موضع به شجر.

(٢٣٤) مؤصِّد: فناء.

(٢٣٥) كيداء: هي الرأس المكشوفة.

جلعد: لا تستر.

[ابتلاني بحبها]

قضاها لغيري وابتلاني بحبها
وخبّرتماني أن تيماء منزل
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت
فلو أن واش باليمامة داره
وماذا لهم لا أحسن الله حالهم
وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل
فيا رب سؤ الحب بيني وبينها
فما طلع النجم الذي يهتدى به
ولا برت ميلاً من دمشق ولا بدا
فهلأ بشيء غير ليلى ابتلانيا
لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فما للنوى ترمي بليلى المراميا
وداري بأعلى حضر موت اهتدى ليا
من الحظ في تصرير ليلى حباليا
بي النقض والإبرام حتى علانيا
يكون كفافاً لا علي ولا ليا
ولا الصبح إلا هيّجا ذكرها ليا
سهيل لأهل الشام إلا بدا ليا

[أحبها]

ولا سَمِيتُ عندي لها من سَمِيَّةٍ
ولا هَبَّتِ الريحُ الجنوبُ لأرضها
فإن تمنعوا ليلي وتحموا بلادها
فأشهدُ عند الله أني أحبُّها
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا
وإن الذي أملتُ يا أمَّ مالك
أعدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ
وأخرجُ من بين البيوت لعلني
أراني إذا صليتُ يمتُّ نحوها
وما بيَ إشراكٌ ولكنَّ حبُّها
أحبُّ من الأسماءِ ما وافق اسمها
خليلي ليلي أكبرُ الحاجِ والمنى
من الناسٍ إلا بلِّ دمي ردائيا
من الليل إلا بتُّ للريحِ جانيا
عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
فهذا لها عندي فما عندها ليا
وبالشوق مني والغرامِ قضى ليا
أشأبَ فويدي (٢٣٦) واستهان فؤاديا
وقد عشتُ دهرًا لا أعدُّ الليالي
أحدتُ عنكِ النفسَ بالليلِ خاليا
بوجهي وإن كان المصلَّى ورائيا
وعُظُمَ الجوى أعياءَ الطبيبِ المداويا
أو اشبههُ أو كان منه مدانيا
فمن لي بليلي أو فمن ذا لها بيا

(٢٣٦) فودا الرأس : جانباه، وغالباً ما يبدأ الشيب في الظهر من خلفهما .

[يا حمامة]

لعمري لقد أبكيتني يا حمامة الـ
خليلي ما أرجو من العيش بعدما
وتجرم ليلى ثم تزعم أنني
فلم أر مثلينا خليلي صباية
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى
وإني لأستحييك أن تعرض المنى
يقول أناس علّ مجنون عامر
بي اليأس أو داء الهيام أصابني
إذا ما استطال الدهر يا أم مالك
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تنزل

عقيق وأبكيت العيون البواكيا
أرى حاجتي تُشرى ولا تشتري ليا
سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
أشد على رغم الأعادي تصافيا
خليلين لا يرجون أن لا تلاقيا
بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا
يروم سلوا قلت أني لما بيا
فياك عني لا يكن بك ما بيا
فشأن المنيا القاضيات وشانيا
بخير وحلت غمرة عن فؤاديا

[أيها الراكب اليمانيون]

فأنت التي إن شئت أشقيت عيشي
وأنت التي ما من صديق ولا عدا
أمضروبة ليلى على أن أزورها
إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني
يمياً إذا كانت يمينا وإن تكن
وإني لأستغشي وما بي نعمة
هي السحر إلا أن للسحر رقية
إذا نحن أدلحنا وأنت أماننا
ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت
ألا أيها الراكب اليمانيون عرجوا
أسائلكم هل ساء نعمان بعدنا
ألا يا حمائي بضن نعمان هجتما

وأنت التي إن شئت أنعمت باليا
يرى نضوما أبقيت إلا رثي ليا
ومتخذ ذنباً لها أن ترانيا
أصانع رحلي أن يميل جاليا
شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا
لعل خيالاً منك يلقي خاليا
وإني لا ألقى لها الدهر راقيا
كفى لمطايانا بذكرارك هاديا
لها وهج مستضرم في فؤاديا
علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
وحب إلينا بطن نعمان واديا
علي الهوى لما تغنيتما ليا

[يقتل المرء نفسه]

وأبكيتماني وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ
وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيُّتَانِ تَجَاوَبَا
فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا أَوْ أَرَدْتُمَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَا لِلَّيْلِ وَمَا لِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي بَلِيلِي أَلَا تَرَى
لَنْ ظَعْنِ الْأَحْبَابِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فِيَا زُبٍّ إِذْ صِيرْتَ لَيْلِي هِيَ الْمَنَى
وَالَا فَبَغَضَهَا إِلَيَّ وَأَهْلَهَا
عَلَى مِثْلِ لَيْلِي يَقْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
خَلِيلِي إِنْ ضُنُّوا بَلِيلِي فَقَرَّبَا

- قال الأعرابي : فلما أتم هذه القصيدة ظهرت له ظبية فوثب في طلبها والتفت إليّ وقال : السلام عليك فما أراك تراني بعد هذا أبداً .

- قال الأعرابي : ثم مضيت إلى الحي فأخبرتهم خبره وأنشدتهم قصيدته فكتبوها ، فلما كان من الغد بكرت إليه وطلبتَه فلم أقدر عليه فانصرفت إلى الحي وأعلمتهم ، فقام إخوته وبنو عمه وأهل بيته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل إذا نحن به ميتاً ، وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين :

تَوَسَّدَ أَحْجَارَ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ وَمَاتَ جَرِيحَ الْقَلْبِ مَنْدَمَلِ الصَّدْرِ
فِيَا لَيْتَ هَذَا الْجَبُّ يَعْشَقُ مَرَّةً فَيَعْلَمَ مَا يَلْقَى الْمَحَبُّ مِنَ الْهَجْرِ

فرثيناه وعلت أصواتنا بالبكاء وحملناه إلى الحي ، فبكى عليه الغريب والقريب وكل من سمع باسمه يوماً ، ثم غسلناه وكفناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى ، رحمهما الله تعالى .

[كل امرئ للموت شارب]

قال أبو بكر: لما مات الملوّح أبو المجنون، بلغه ذلك، فأتى قبره وكانت له ناقة فنحرها على قبره، وكانت العرب هذا شأنها تفعل ذلك إذا مات منهم أحد، وأنشأ يقول:

عقرتُ على قبرِ الملوّحِ ناقتي	بذي الرمثِ لما أن جفاه أقاربُه
فقلتُ لها كوني عَقيراً فإني	غداة غَدٍ ماشٍ وبالأمس راجِبُه
فلا يُعَدّنك الله يا ابن مُزاحمٍ	فكلُّ امرئٍ للموتِ لا بدَّ شاربُه

[خاتمة]

قال أبو بكر الوالبي ، رحمه الله تعالى : هذا جملة ما تناهى إلينا من أخبار المجنون وأشعاره ، وما كان منحولاً من قصيدة أو خبر أعرضنا عن كتبه . والله سبحانه وتعالى أعلم (*) .

(*) إلى هنا ينتهي بحمد الله تعالى تحقيق كتاب «ديوان قيس بن الصنوح» الشهير بـ «مجنون ليلى العامرية» مراجعاً على عدة نسخ وانتهينا منه طهر يوم الأحد الموافق ٤ من جمادى الأولى سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٣ من ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٨٩ م والله العليّ العزيز ولي التوفيق .

فهرس القوافي

فهرس القوافي

٧٨	غريب	(الهمزة)	
٨٠	مذهب		
٨٩	التراب	٥٤	شاة
٩٩	كرب		
١٠٥	حيب	(الألف)	
١٠٩	انذب	٤١	نراها
١١١	المشئ	٤٧	سواها
١١٧	ريقب	(الباء)	
١١٨	غروينا	٣٦	حيب
١١٩	فأعجب	٣٦	الصعب
١١٩	غروب	٤٠	تطيب
١٢٧	أقارنه	٣١	ذنوبها
	(التاء)	٤١	عجيب
١١٧	فقدتها	٤٧	الكرب
١١٩	ورضيت	٤٩	نك
	(الجيم)	٥٠	العضف
١٧	بنفسجا	٦٣	عذب
	(الحاء)	٥٩	حبيب
		٧٢	قبي
٩٥	سافح	٧٦	الذواهب
١٠٤	الصوالح	٧٨	حيب

(الراء)		الملاح	١١٣
٣٣	يدري	صانع	١٢١
٣٤	بالجمر	الأطع	١٢١
٣٠	ازورها		
٤٧	الشجرا	(الخاء)	
٤٧	يقصر	صرخ	٩٤
٥٦	سراثره		
٥٨	النواظر	(الدال)	
٦١	وأمطار		
٦١	صدري	العهد	٣٧
٦٨	بر	همودا	٤٥
٧٠	وكر	جراذ (رجز)	٥٠
٧٤	الغواثر	بخالد	٥٣
٧٦	فالضمائر	وترقد	٦٥
٧٧	ذاكره	أعوذها	٦٧
٨٥	الهجر	معادي	٧٧
٩٠	قفير	أسود	٧٨
٩١	لصبور	نجد	٧٨
٩٤	الأجر	وبالدي	٨٠
٩٧	جدير	من عهد	٨٣
٩٨	تزور	للعهود	٨٨
١٠١	أدري	بليد	٩٠
١٠٦	الضجر	أجد	٩٠
١٢٦	الصدر	حديد	١٠٢
		حليد	١٠٣
		مفتقد	١٠٩
	(السين)	ند	١١٠
١٠٩	وأعيش	وقد	١١١
١١٢	بطني		

(الصاد)

قاصي ٤٤

(الضاد)

يَتَقَضَى ٩٠

الخفضا ١٠٤

الأرض ١١١

(العين)

شفيع ٢٨

طمعا ٣٩

التلاع ٤٦

نزوع ٥٠

أجزع ٧١

المضاجع ٧٦

ربيع ٨٦

فراجع ١٠٧

كالخداع ١١٩

(القاف)

صديق ٤٥

ذاقها ٥٤

نطروق ٥٧

وأنت صديق ٦٦

دافق ٩٧

رفيقها ١١٨

(الكاف)

الشبائك ٩٥

سواكما ١١٥

(اللام)

البقولا

تهمل ٤٧

شغلي ٤٨

عصل ٥٥

حلا ٥٦

وطولها ٦٥

يقال ٦٧

سبيل ٧٢

تعقل ٧٥

حبالها ١٠٥

(الميم)

حجم ٢٨

يسلم ٣٠

ذميم ٥١

لكلما ٥٦

النائم ٥٩

ونسيمها ٦٠

ويظلم ٧٣

التمائم ٧٤

إلي نسيمها ٨٢

سئما ٨٧

جنوم ١٠٠

السقما ١٠٠

عجم ١١٥

صميم ١١٦

(النون)

٣١	المحبينا
٥١	شجون
٦٤	رآني
٧٧	حنينا
٧٩	مؤتلفان
٧٩	جنون
٩٠	فسمين
٩٥	حنون
٩٦	حزينا
١٠٣	خلقان
١٠٥	الثمان
١٠٧	تداني
١١١	تشيان
١١٦	كائن

(الهاء)

٨٠	غلاها
----	-------

(الياء)

٣٨	وخاليا
٤٢	المكاويا
٤٦	لبكى ليا
٥٧	يمانيا
٦٤	مناديا
٧٨	ورائيا
٩٢	هويا
٩٢	ثيابيا
١٠٢	مايبا
١١٣	دائيا
١٢١	ناهايا
١٢٢	النواجيا
١٢٢	شافيا
١٢٣	ابتلانيا
١٢٤	ردائيا
١٢٥	البواكيا
١٢٥	باليا
١٢٦	خاليا